Jordan Journal of Islamic Studies

Volume 16 | Issue 2 Article 10

6-1-2020

من لطائف الأسلوب الإنشائي في سورة مريم The Magnificence of the Compositional Style of Surat Maryam

Nadya Tweisat
Al-Hussein Bin Talal University, Ntfa2001@yahoo.com

Imad Al-Shammari
Al-Hussein Bin Talal University

Atif Al-Mahameed
Al-Hussein Bin Talal University

Follow this and additional works at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois

Part of the Islamic Studies Commons

Recommended Citation

Tweisat, Nadya; Al-Shammari, Imad; and Al-Mahameed, Atif (2020) "من لطائف الأسلوب الإنشائي في سورة مريم The Magnificence of the Compositional Style of Surat Maryam," *Jordan Journal of Islamic Studies*: Vol. 16: Iss. 2, Article 10.
Available at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol16/iss2/10

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Jordan Journal of Islamic Studies by an authorized editor. The journal is hosted on Digital Commons, an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aaru.edu.jo, marah@aaru.edu.jo, u.murad@aaru.edu.jo.

من لطائف الأسلوب الإنشائي في سورة مريم

د. نادية طويسات* د. عماد الشمري** د. عاطف المحاميد***

تاريخ وصول البحث: ٢٠١٩/١/٢م تاريخ قبول البحث: ٢٠١٩/٤/٢م

ملخص

تناولت هذه الدراسة أثر الأساليب الإنشائيّة المتنوّعة في التعبير القرآنيّ في سورة مريم؛ مبيّنة من خلال بنائيّة الجملة وتركيبها القيمة الدلاليّة التي أدّتها تلك الأساليب في كشف كُنه النفس الإنسانيّة ونقل ما يجول داخلها من مشاعر وأحاسيس من ناحية، وتصويرها الموقف الاجتماعيّ المُرافق للآيات الكريمة من ناحية أخرى، فقد تناولت الدراسة أساليب: النداء، والأمر، والاستفهام، والنهي، والتمنّي، والتعجّب، متكفّلةً ببيان أهميّة الأسلوب الإنشائيّ في سياقه الذي نُطِقَ فيه؛ مراعياً أحوال كلٍّ من المخاطِب والمخاطَب، وقد خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج عُرضت في الخاتمة.

الكلمات الدّالّة: الأساليب الإنشائيّة، النداء، الأمر، الاستفهام، النهي، التمنّي، التعجب.

Abstract

This study deals with the impact of various compositional styles on the Quranic expression in Sūrat Maryam. Focusing on the sentence structure and its components, the study clarified the semantic value of these styles which help to reveal the secret of the human psyche and convey the feelings and sensations on the one hand, and to depict the social situation which is associated with the holy verses, on the other hand. This study addressed diverse compositional styles such as calling, command, questioning, prohibition, wish, reprehension Alzajr, and exclamation. Furthermore, the study elucidated the importance of the compositional style in the context in which it was used, taking into consideration both the speaker and the addressee. The study concluded with a number of results presented at the conclusion.

المقدمة.

يعدّ النصّ القرآنيّ المعيار الأمثل للأساليب اللغويّة في مقاماتها المتعدّدة؛ إذ إنّه يراعي الحالة النفسيّة والاجتماعيّة للمتلقّي، فيأتي الخطاب متوائماً وتلك الحالة، وقد مازج النصّ القرآنيّ –وفقاً للسياقات المتباينة للخطاب– بين أسلوبيْ الخبر والإنشاء، الخبر بأضربه وأشكاله كافّة، والإنشاء على صنوفه المتعدّدة.

إنّ القارئ لسورة مريم ليدرك حقّاً ما للأساليب الإنشائيّة من حضور واضح وتأثير كبير فيها؛ إذ إنّها جاءت متداخلة، فقد أدّى كلّ نوع منها غير وظيفة، وهذه الوظائف جميعها شكّلت هذه السورة ورسمت معالمها، التي احتوت على غرائب على

* أستاذ مساعد، جامعة الحسين بن طلال.

** أستاذ مساعد، جامعة الحسين بن طلال.

*** أستاذ مساعد، جامعة الحسين بن طلال.

Published by Arab Journals Platform, 2020

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 16 [2020], Iss. 2, Art. 10

المستويين الإنسانيّ والاجتماعيّ، الأمر الذي سيلقي ظلاله على متلقّي النصّ.

وقد اتّبعت الدراسة المنهج الاستقصائيّ التحليليّ، الذي يقوم على حصر كلّ أسلوب من تلك الأساليب وتحليله وفق سياقه ومحيطه، مبيّنة الثيمة والغاية التي أدّاها ذلك الأسلوب، وأثره على نَفْس المخاطب.

وقد تماست الدراسة مع عدد من الدراسات السابقة، ونذكر منها: دراسة أثر بناء الجملة الإنشائيّة في توجيه المعنى في سورة مريم، للباحثين علي نور إدريس المحنا، وسيروان عبد الزهرة الجنابيّ، ولعلّ جوهر الاختلاف بين الدراستين يكمن في أنّ تلك الدراسة جعلت جلّ اهتمامها منصبّاً على توجيه المعنى، المتحقق من التنوّع الأسلوبيّ بين الخبر والإنشاء، بينما عنيت دراستنا هذه باللطائف البلاغيّة المتأتّية من الأسلوب الإنشائيّ، مركّزة على الدلالات النفسيّة والاجتماعيّة. ومن الدراسات الماجستير الموسومة بـ(الأساليب الإنشائيّة في شعر لبيد بن ربيعة)، للباحثة بدريّة العتيبيّ، جامعة أم القرى ١٤٣٠هـ، التي بيّنت فيها المؤلّفة القيمة الدلاليّة للأساليب الإنشائيّة في ديوان لبيد، ومناسبة تلك الأساليب مع الأغراض الشعريّة؛ وأيضاً دراسة سعيد بن طيب المطرفيّ، الموسومة بالإنشاء ومواقعه في شعر هذيل (رسالة دكتوراه)، حيث سعى المؤلّف إلى رصد الأساليب الإنشائيّة لدى الشعراء الهذليّين، مبيّناً أثر تلك الأساليب ومناسبتها مع الأعراض الشعريّة الواردة في الديوان، اقتصرت الدراستان السابقتان على إثبات العلاقة بين الإنشاء والغرض الشعريّ، دون الإشارة إلى سياق الحال أو الحالة النفسيّة التي تقتضي استخدام أسلوب إنشائيّ دون غيره، كما جاء في دراستنا هذه وأيضاً كتاب (دلالات التراكيب "دراسة بلاغيّة")، للدكتور محمد محمد أبو موسى، الذي تناول فيه المؤلّف عدداً من التراكيب والجمل، مبيّناً أهميّة الأسلوب في إثراء النصّ وتنوّع دلالاته، وهي دراسة عامة، تناولت الإنشاء على إطلاقه، دون أن تختص بنص، كما اختصت دراستنا بسورة من سور القرآن، وهي سورة مريم، وكذلك دراسة الدكتور عاطف فضل الموسومة بـ(تركيب الجملة الإنشائيّة في غريب الحديث)، الصادرة عن عالم الكتب الحديث (٢٠٠٤م)، التي اقتصرت على دراسة الجمل الإنشائيّة في كتاب غريب الحديث، ولا تلتقي مع دراستنا هذه إلا في حقل الإنشاء؛ إذ إنها مقصورة على كتاب غريب الحديث دون غيره؛ والبحث المعنون بـ (المستوى البلاغيّ في سورة مريم)، لفيصل حسين دواغرة، المنشور في مجلة الجامعة الإسلاميّة (٢٠٠٩)، فقد عرض لمستويين من مستويات البلاغة هما: المستوى البديعيّ، ومستوى الصورة الفنيّة، وهذه الدراسة وإن اشتركت مع دراستنا هذه في سورة مريم، إلّا أنّها لم تتطرق لعلم المعاني، مدار دراستنا. أمّا أحمد محمد عبدالله، فقد تناول في رسالته للماجستير الموسومة (المزاوجة بين الخبر والإنشاء في النظم القرآنيّ)، جامعة أم درمان الإسلاميّة، ٢٠٠٦ م، فقد أبانت دراسته وجوه الإعجاز القرآنيّ من خلال تعدّد القراءات في الموضع الواحد، إذ عنيت بإظهار أثر المزاوجة بين أسلوبي الخبر والإنشاء في تعدّد القراءات، دون الوقوف عند الدلالات السياقيّة أو النفسيّة المتحقّقة من تلك المزاوجة، الذي هو أصل دراستنا هذه.

وستجيب الدراسة عن عدد من الأسئلة، من أهمّها: ما المقصود بمصطلح الإنشاء؟ وما أبرز مواضعه في سورة مريم؟ وما القيمة النصيّة والدلاليّة التي أدّاها في السورة؟ وما العلاقة بين الإنشاء والسياق؟

وقد اقتضت طبيعة الدّراسة أنْ تكونَ في تمهيد وخمسة مباحث وخاتمة، وقد حوى التمهيد نبذةً عامة عن سورة مريم، وتعريفاً بمصطلح الإنشاء وبيان أنواعه، أمّا المباحث فقد جاءت موزّعة على النّحو الآتي: المبحث الأول: تناول النداء، وقد جاء في مطلبين: النداء الإنشائيّ، والنداء الاشتقاقيّ. والمبحث الثاني: اختصّ بالأمر، وقد جاء في مطلبين: الأمر الإنشائيّ، ودلالة المصدر (ذِكْرُ). وتناول المبحث الثالث الاستفهام بأدواته المتعدّدة، وقد احتوى على مطلبين:

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol16/iss2/10

الجمل الاستفهاميّة الواردة في معرض الحديث عن الأنبياء والصالحين، والجمل الاستفهاميّة الواردة في معرض الردّ على الكافرين المنكرين للبعث. وقد خُصّص المبحث الرابع: للنهي بأشكاله المتعدّة، ودَرس المبحث الخامس: التمنّي، وقد ضُمّنت الخاتمة أهمّ النتائج التي توصّلت إليها الدراسة.

التمهيد.

إنّ الدارس لسورة مريم يلمح استحواذها على انفعالات النفس البشريّة، التي بدأت بقَصص بعض الأنبياء مبتدئةً بقصّة نبيّ الله زكريا وولده يحيى –عليهما السلام–، وعرضت السورة لقصّةٍ أعجبَ وأغربَ، تمثّلت في قصة مريم العذراء –عليها السلام–، وإنجابها لطفل من غير أبٍ، وتحدّثت كذلك عن قصّة إبراهيم ﷺ مع أبيه، ثم ذكرت بالثناء والتبجيل رُسل الله الكرام: إسحاق وموسى وهارون وإسماعيل وإدريس ونوحاً –عليهم السلام –، وقد استغرق هذا الجزء قرابة ثلثي السورة، وتحدّثت السورة عن مشاهد يوم القيامة، وحال الكفرة المجرمين فيه، وخُتمت السورة بنهاية منسجمة في موضوعها مع بدايتها: وهي تنزيه الله عن الولد، والشريك، والنظير، والردّ على ضلالات المشركين(١). ولابن تيمية رأيٌ لطيفٌ في استعراضه لموضوعات السورة، إذ يجمل الوحدة الموضوعيّة، التي تنتظم أجزاء السورة، يقول: "سورة مريم مضمونها تحقيق عبادة الله وحده، وأنّ خواص الخلق هم عباده، فكل كرامة ودرجة رفيعة في هذه الإضافة، وتضمّنت الرد على المغالين، الذين زادوا في النسبة إلى الله حتى نسبوا إليه عيسى بطريق الولادة، والرد على المفرطين في تحقيق العبادة وما فيها من الكرامة وجحدوا نعم الله التي أنعم بها على عباده المصطفين ... فهذه السورة" سورة المواهب" وهي ما وهبه الله لأنبيائه من الذريّة الطيّبة والعمل الصالح، والعلم النافع"(٢).

ولا بدّ لنا –هنا– من الوقوف عند حدّ مصطلح الإنشاء، والتفريق بينه وبين الخبر، إذ قسّم علماء المعاني الكلام أقساماً كثيرة، غير الخبر والإنشاء، فقد ذكر ابن قتيبة: " أنّ الكلام أربعة: أمرٌ، وخبرٌ، واستخبارٌ، ورغبة"(٣). ولعلّ أظهر طريقة في التفريق بين الإنشاء والخبر ـ سواء كان مثبتاً أو منفيّاً أو مؤكّداً ـ هي محاكمة ما ينطقه المتكلّم ومدى مطابقته مع الخارج، فإنْ حصلت المطابقة المقصودة فالكلام صدقٌ وإلّا فهو كذبٌ(٤)، وإنْ كان الكلام بخلاف ذلك، أي: لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، ولا يصحّ أنْ يُقال لقائله إنّه صادق أو كاذب؛ لعدم تحقّق مدلوله في الخارج وتوقّفه عن النطق به، سُمّي كلاماً إنشائيّاً(٥). ولعلّ المبرّد هو أوّل منْ أقحم من النحاة مفهوم الصدق والكذب، وذلك لتمييزه الخبر من غيره من أقسام الكلام، يقول:" والخبر ما جاز على قائله التصديق والتكذيب"(٦).

أمّا الجملة الإنشائيّة فليس لها وجود خارجيّ، وإنّما يكون وجودها عند النطق بها، فأنت تنشئها إنشاءً كأسلوب الأمر، والنهي، والاستفهام، والنداء، والتمني، وقد أدرجها البلاغيّون تحت مسمّى الإنشاء الطلبيّ، وكأساليب الإنشاء غير الطلبيّ مثل: التعجّب وأفعال المدح والذم، وألفاظ العقود والقسم، والترجّي(٧)، وقد جعل ابن هشام الكلام ثلاثة أقسام، يقول:" انقسم الكلام إلى ثلاثة أنواع: خبر وطلب وإنشاء، وضابط ذلك أنّه إمّا أنْ يحتمل التصديق والتكذيب أولا، فإنْ احتملهما فهو الخبر، نحو: " قامَ زيدٌ"، وإنْ لم يحتملهما، فإمّا أنْ يتأخّر وجود معناه عن وجود لفظه أو يقترنا، فإنْ تأخّر عنه فهو الطلب، نحو(اضربْ) و(لا تضربْ) و(هل جاءك)، وإنْ اقترنا فهو الإنشاء، كقولك لعبدك: (أنت حرّ)(٨).

وممّا يُلحظ عند دراستنا للإنشاء اهتمام البلاغيّين بدراسة الإنشاء الطلبيّ؛ ووجههم في ذلك: أنّه غنيّ بالاعتبارات والملاحظات البلاغيّة، وأنّ أساليبه –وهي الأمر والنهي والاستفهام والتمنّي والنداء– قد تَرِد ويُراد بها غير

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 16 [2020], Iss. 2, Art. 10

معانيها، وهذا بخلاف الإنشاء غير الطلبيّ، فأساليبه أكثرها في الأصل أخبارٌ نُقلت إلى معنى الإنشاء، وهي لا تُستعمل إلّا في معانيها التي وُضعت لها، فالقَسم هو القَسم، والتعجّب كذلك، والمدح والذم... وهذا لا يعني أنّ تلك الأساليب خاليةٌ من الاعتبارات البلاغيّة والمزايا الجماليّة، بل تكمن وراءها ملاحظات بلاغيّة واعتبارات دقيقة، تأمّل أسلوب القَسَم في القرآن الكريم، وتعدّد مواقعه، واختلاف المقسَم به، وأجوبة القَسَم، تجد وراء ذلك كثيراً من الأسرار البلاغيّة [٩].

وذهب سيبويه في تفريقه بين الخبر والإنشاء مذهباً آخر، إذ يرى أنّ الأمر والنهي عملان يختلفان عن الخبر والاستفهام، فقابل في بعض السياقات بين الخبر والاستفهام من ناحية، والأمر والنهي من ناحية ثانية، ولعلّ سبب تمييزه السابق بين الخبر والإنشاء مردّه لِمَا يختصّان به من ضرورة الوقوع بالفعل" فهما لا يقعان إلّا بالفعل مُظهَراً أو مضمراً؛ فالمتكلّم يحتاج إلى الفعل ليأمر المخاطب أو ينهاه، يقول سيبويه: "أنت تريد أنْ تخرجه من أمر وتدخله في آخر"[١٠]. وقد عرّف مهدي المخزوميّ الإنشاء تعريفاً، يمكن أن نجد فيه خلاصة ما ذهب إليه علماء البلاغة القدامى، إذ يقول:" التي لم تكن إعلاماً ولا إخباراً ولم يُرَد فيها تصديق قائلها أو تكذيبه؛ لأنّها لم تتضمّن فائدة للمخاطب لأمر، قد تمّ في زمنٍ مضى أو في الحال أو في زمن الاستقبال"[١١].

ومن البلاغيّين منْ يرى ما يستفاد من صيغة الإنشاء أنّه من قبيل المجاز، ومنهم منْ يرى أنّه من قبيل الكناية، ومنهم منْ يرى أنّه من مستتبعات التراكيب"[١٢]، وتعدّ المزاوجة بين أسلوبي الخبر والإنشاء سمةً ظاهرة في الخطاب القرآنيّ؛ فمن الملاحظ أنّ الجملة الخبريّة غالباً ما تخاطب العقل، لأنّ طبيعة العقل تغليب الأمور والموازنة والتشكّك، أمّا الإنشائيّة فتأتي غالباً لمخاطبة العاطفة والانفعال، وقد وردت الجملة الإنشائيّة في الخطاب القرآنيّ في غير موضع منه لحاجة النص إلى التعبير عن الأحكام الشرعيّة التي تقتضي الأمر والنهي، ولحاجة النصّ أيضاً إلى إثبات عقيدة السماء الحقّة التي تستدعي استعمال الأساليب الإنشائيّة في المحاججة كالاستفهام والدعوة إلى الاعتبار والنظر إلى أحوال الأمم السابقة.[١٣]

المبحث الأول.

النـــداء:

حظي التركيب الندائيّ بعناية النحويّين والبلاغيّين على حدّ سواء، فبينما عَني الفريق الأول بالبحث عن عناصر الإسناد وتقديرها، حاكمين عليه بأنّ جملته محذوفة الفعل والفاعل معاً، لاحظ البلاغيّون استقامته الدلاليّة وسلامته الإبلاغيّة، إلّا أنّهما التقيا في عدّهما الأسلوب الندائيّ جملةً، ومن ذلك ما نلمسه لدى سيبويه؛ إذ أشار في كتابه على وجوب مراعاة مستويين اثنين: هما السلامة النحويّة والصحة الإبلاغيّة[١٤].

والنداء: هو طلب الإقبال بحرف ناب مناب (أدعو)، لفظاً وتقديراً[١٥]، فهو تنبيهٌ يوقعه المتكلّم ليعطف به المخاطب عليه، فأوّل الكلام أبداً النداء، إلّا أنْ تدعه استغناءً بإقبال المخاطب عليك"[١٦]. وللجملة الندائيّة أهميّة في العمليّة التواصليّة التبليغيّة، وتكمن تلك الأهميّة في كونها البنية الخطابيّة الأكثر دوراناً على الألسنة والأقلام؛ لما تتمتّع به هذه البنية من قدرة على التعبيرعن مختلف الأغراض والمشاعر الإنسانيّة، وللنداء أغراضٌ بلاغيّة عديدة، تتحدّد من سياقاتها ومن العلاقة الناشئة بين المنادِي والمنادَى مباشرةً في التركيب اللغويّ والتصويت به، فإنْ كان التعبير الندائيّ يحمل مقاصدَ

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol16/iss2/10

واضحةً صريحةً، تفهم من التركيب اللغويّ نفسه دون اللجوء إلى وسائل أخرى خارجيّة، كان الغرض من النداء –حينئذ– أصليّاً، وهو تنبيه المخاطب ـ أي: المنادى ـ وتهيئته لاستقبال ما يطلب منه، ولا تتعدّى دلالة الجملة الندائيّة –هنا– التنبيه(١٧).

وقد يُستفاد من لفظ النداء بمعونة المقام ودلالة القرائن معانٍ أُخر؛ إذ نجد مِن البلاغيّين مَن عدّ تنزيل القريب منزلة البعيد، وتنزيل البعيد منزلة القريب خروجاً عن المعنى الأصليّ للنداء، ولا يقف الحدّ عند ذلك الأمر، بل يتعدّاه إلى أنْ نجد مَنْ عدّ التبادل بين تراكيب الأسلوب الإنشائيّ نفسه، كأنْ يوضع الخبر موضع الإنشاء أو العكس، وكوضع الأمر موضع النهي، ووضع النداء موضع الأمر ضرباً من ضروب البلاغة (١٨).

فالنداء –إذاً– إمّا أنْ يفيد تخصيص المخاطب بالكلام الذي يأتي بعد التنبيه لجعله معنيّاً به دون غيره، وإمّا أنْ يفيد توكيد المخاطَب في حال كون المخاطَب يعلم أنّه المعنيّ بالكلام، ولكنّ في ندائه زيادة تنبيه وتوكيد وإثارة، وربّما كان ذلك رغبةً من المتكلّم في إقناع المخاطب بما سيعلمه به من كلام.

المطلب الأول: النداء الإنشائيّ.

حين نتأمّل المشاهد القصصيّة التي وردت في سورة مريم، نجد أنّ أسلوب القصّ فيها قد اتّكأ في كثير من الأحيان على النداء بمفهومه العام، ومفهومه البلاغيّ الخاصّ، المتحقّق من استخدامه كواحد من الأساليب الإنشائيّة من ناحية، ومن دلالة الفعل (نادى) الاشتقاقيّة من ناحية أخرى، فشكّل بذلك جزءاً أساسيّاً من لغة السرد والحوار، وحقّق دلالاتٍ بلاغيةً ونفسيّةً مختلفةً، وفق طبيعة الحدث، وطبيعة الشخصيّات، والحالة النفسيّة لكلٍّ منها، كما ساعد بالنهوض بالمغزى أو الأساس الذي تدور حوله الفكرة العامة للحدث، أو قام عليه المشهد الحواريّ؛ ففي قصّة نبيّ الله زكريا عليه السلام شكّل أسلوب النداء المدخل اللغويّ، الذي انطلق منه الحوار لتفجير الحدث المحوريّ المتمثّل في البشرى بولادة يحيى عليه السلام: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا**﴾[مريم: ٤].

وعند الانتقال المفاجئ للحديث عن يحيى عليه السلام نجد النداء قد اضطلع بمهمة أخرى، هي نقل المتلقّي من حالة إلى أخرى، ومن سياق الإخبار عن زكريا عليه السلام إلى سياق جديد، يحمل بين ثناياه شخصيّة أخرى وزمناً آخر: ﴿**يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا**﴾[مريم: ١٢].

وفي قصّة مريم –عليها السلام– عبّرت جملة النداء عن جوهر المعاناة التي عانت منها السيدة مريم –عليها السلام– حين جاءت قومها تحمل وليدها –عيسى عليه السلام– فبدأت أحاديث الناس تستنكر وتستغرب وتشكّك في الأمر كما في: ﴿**يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا**﴾[مريم: ٢٨–٢٩]، فقد أدّى تكرار أسلوب النداء خمس مرات في مشهد حواريّ قصير مُلخّصاً قصّة نبيّ الله إبراهيم عليه السلام مع أبيه، الذي رفض الاستجابة لدعوته، فظلّ مصرّاً على عبادة الأصنام، مهدّدا بالهجر والرجم، ممّا دفعه عليه السلام إلى اتّخاذ قرار الاعتزال مع الإبقاء على الاستغفار لوالده (الآيات: ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩ من سورة مريم).

وللنداء في كلّ ما سبق دلالاتٌ نفسيّةٌ عميقةٌ، ترتبط بالشخصيّات التي ورد ذكرها، وبالحالات الإنسانيّة، التي تناولتها السورة وتنقّلت بينها، ففي بداية السورة تكشف الآيات عن حالة من الضعف الإنساني، المتمثّلة في قصّة زكريا عليه السلام وشكواه إلى ربّه بعد كبر السن، ووهن العظم، واشتعال الرأس بالشيب، وقد بدا ذلك واضحاً في الآية (٤)، إذ احتوت على جملتيْ نداء، فقد جاء تركيب النداء كالآتي:

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 16 [2020], Iss. 2, Art. 10

١- أداة النداء (ﻫ) + منادى (ربّ) + جملة اسميّة مؤكّدة (إنّي وهن) وخبرها جملة فعليّة (وهن).

٢- جملة منسوخة منفيّة (لم أكن + اسم الناسخ) + شبه جملة (بدعائك) + جملة النداء (حرف النداء (ﻫ) + منادى (ربّ) + خبر الناسخ.

٣- جملة دعائيّة (اجعله) + جملة النداء (ﻫ + ربّ) + المفعول به.

وتجدر الإشارة –هنا– إلى أنّ التكرار في كلمة (ربّ) وكذلك اعتراض جملة النداء وتوسّطها بين العامل ومعموله لَهما مؤشّرٌ واضحٌ على الأدب النبويّ الرفيع في التخاطب مع الله ﷻ، وهما أيضاً تبيانٌ لمتانة الصلة بين العبد وربّه، ولا يخفى على القارئ قيمة التوكيد في الجمل التالية للنداء؛ فقد جِيء به ليدلّ على ضعف البشر و قصورهم، وفيه إظهارٌ. بشكل غير مباشر. للقوّة والمعجزة الإلهيّة، وقد أدّى حذف الأداة دلالةً في إظهار التقرّب إلى الله من قِبل نبيّه، وإظهار ما يعتلج في النفس الإنسانيّة من ضعف وخوف؛ فالله ﷻ يسمع ويرى من غير دعاء ولا نداء، ولكنّ المكروب يستريح إلى البثّ، ويحتاج إلى الشكوى[١٩].

وبعدها تأتي رحمة الربّ التي حدّثت عنها السورة الكريمة في بدايتها: ﴿**إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا**﴾[مريم: ٣] لتبشّر زكريا عليه السلام باستجابة الدعاء، وكما استُهلّ الدعاء بأسلوب النداء، فإنّ استجابة الدعاء لم تخلُ أيضاً منه، كما يوضّحه قوله تعالى: ﴿**يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا**﴾[مريم: ٧]، ولعلّ في ذلك تعظيماً لشأن نبيّ الله زكريا عليه السلام من جهة، وتهيئة له كي يستطيع تقبّل الخبر من جهة أخرى، وفي ذلك مراعاة للبعد النفسيّ والحالة الشعوريّة له؛ إذ إنّ تلقّي هذه البشرى في ظلّ فقدان الأسباب الطبيعيّة المؤدّية للإنجاب أمرٌ يحتاج إلى أسلوب يساعد في استيعاب هذا الحدث غير المألوف، ولابدّ من الإشارة إلى أنّ ذِكر أداة النداء –هنا– قد لاءم الهيمنة الإلهيّة، التي امتلكت القدرة على خلق المعجزات، فجاء استخدام أداة النداء "يا" متوائماً والبونَ الشاسع بين ما يألفه البشر وما يستطيعه الخالق، وهي رسالة لنا . معشر البشر. بضرورة الأخذ بالأسباب، فقد ذكر الرازيّ: "أنّ زكريا عليه السلام قدّم على طلب الولد أموراً ثلاثة: أحدها: كونه ضعيفاً، والثاني: أنّ الله ما ردّ دعاءه ألبتّة، والثالث: كون المطلوب بالدعاء سبباً للمنفعة في الدين، ثمّ صرّح بسؤال الولد، وذلك ممّا يزيد الدعاء توكيداً؛ لما فيه من الاعتماد على حول الله وقوّته، والتبرّي عن الأسباب الظاهرة"[٢٠].

وتظهر أداة النداء مرّة أخرى عند تحقّق هذه البشرى بولادة يحيى عليه السلام ليبدأ "النداء العلويّ" ليحيى عليه السلام قبل أنْ يتحدّث عنه بكلمة[٢١]. وفي ذلك ما يؤكّد استمراريّة الهيمنة الإلهيّة على الموقف بدءاً من ولادة يحيى عليه السلام ومروراً بحياته وإيتائه الحكم والنبوة، وانتهاءً بموته **وانبعاثه**: ﴿**يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا * وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا**﴾[مريم: ١٢-١٥].

وفي قصّة مريم –عليها السلام– عبّر النداء عن أزمة السيدة مريم، المتمثّلة في اتّهام المجتمع لها بعد ولادتها عيسى عليه السلام كيف لا، وقد أَتَتْهم تحملُ وليدَها؟ وهو مشهد خطير، لا يمكن أنْ يمرّ دونما دهشة واستغراب، حيث أخذوا يشكّكون في الأمّ، ويذكّرونها بالأسرة الطيّبة التي تنتمي إليها؛ لذلك كان النداء الوسيلة الأبلغ للتعبير عن المعاناة النفسيّة التي عانت منها السيدة مريم –عليها السلام–، حيث كان نقطة انطلاق قومها في توجيه اتّهاماتهم لها، وممّا زاد في إبانة تلك المعاناة وإظهارها هو ذِكْر الأداة (يا) التي تفصح عن الفجوة، التي أحدثتها مريم –بفعلتها– بينها وبين قومها، وكذلك التركيب الفعليّ التالي للنداء، فقد تركّبت الجملة من:

(حرف توكيد (لقد) + فعل ماضٍ (جاء) المسند إلى ضمير المخاطبة + المفعول به الموصوف: ﴿**فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا**

تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾[مريم: ٢٧].

الآية (٢٧) _____ حرف (يا) + منادى (مريم) + جملة ماضويّة مؤكّدة (لقد جئت).

وقد أدّى النداء في قصّة مريم –عليها السلام– وظيفة اجتماعيّة، ففي الآية: **﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾**[مريم: ٢٨].

حرف + منادى (يا أخت هارون)+ جملة منفيّة (ما كان أبوك امرأ سوء) + جملة منفيّة (ما كانت أمّك بغيّاً).

حَوَت جملة النداء ﴿يا أخت هارون﴾ وما تلاها من جمل منفيّة، حَوَت اعترافاً صريحاً من قوم مريم بأنّها امرأة صالحة، إذ أشبهوها بهارون، وقد ذكر قتادة أنّ هارون كان رجلاً صالحاً في بني إسرائيل(٢٢)، وقال السهيليّ:" إنّ هارون من عُبّاد بني إسرائيل المجتهدين، كانت مريم تُشبّه به في اجتهادها"(٢٣).

وكان للنداء حضورٌ واضحٌ في الحوار الذي دار بين إبراهيم عليه السلام ووالده، فعلى الرّغم من قِصَر المشهد الحواريّ بين الأب وابنه، إلّا أنّ جُمل النداء جاءت مكثّفة، ولعلّ في هذا ما يقودنا إلى القول بأهميّة هذا الأسلوب في سياق، يحمل الدعوة إلى توحيد الله، وترك عبادة الأصنام، لذلك جاء تكرار النداء (يا أبتِ) على لسان إبراهيم عليه السلام وهو يدعو أباه إلى عبادة الله أربع مرات، كما يأتي:

رقم الآية تركيب النداء:

٤٢ حرف + منادى (يا أبتِ)

٤٣ حرف + منادى (يا أبتِ)

٤٤ حرف + منادى (يا أبتِ)

٤٥ حرف + منادى (يا أبتِ)

٤٦ حرف + منادى (يا إبراهيم)

فلا يخفى ما لهذا الإلحاح باستخدام أداة النداء (يا) من دور مهمّ في تنبيه الأب، وجذب مسامعه نحو كلام إبراهيم، ولعلّ ذِكر أداة النداء في الجمل الندائيّة جميعها فيه إشارات للبعد والفجوة الكبيرين بين العقيدتين.

ويلمس القارئ للآيات الكريمة مجيء النداء على لسان إبراهيم عليه السلام حاملاً معنى الرجاء، ومعبّراً عن أسلوب التلطّف في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، كما كشف النداء أيضاً عن قيمة الاحترام في خطاب الابن لأبيه، حيث ناداه بصفة الأبوّة (يا أبتِ)، وفي ذلك تذكير بهذه العلاقة الحميمة، واستفزاز لمشاعر الأبوّة في نفس الأب، لعلّها تكون السبيل نحو هدايته، لكنّ الأب ردّ هذه الدعوة رافضاً لها، ومعبّراً عن ذلك الرفض بأسلوب فيه كثير من القسوة والجفاء: **﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾**[مريم: ٤٦]، وفي أسلوب النداء –هنا– ما يؤكّد دلالة هذه القسوة حين نُودِي إبراهيم عليه السلام باسمه الصريح ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ﴾، على خلاف ما نادى به نوح عليه السلام ابنه مثلاً، حين دعاه إلى الحقّ، فتجسّدت في ندائه له عواطف الأبوّة الحانية والصادقة، على خلاف ما عُهِد من صيغة النداء الموجه من الأب لابنه، وما تحمل هذه الصيغة من عواطف الأبوّة الصادقة والحانية، كما يتجلّى –على سبيل المثال– في نداء نوح عليه السلام لابنه حين دعاه إلى الحق قائلاً: **﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾**[هود: ٤٢].

المطلب الثاني: النداء الاشتقاقيّ.

ولابدّ لنا من وقفة عند اللفظ الاشتقاقيّ للمادة اللغويّة (نادى)، فعلى الرغم من خروجها عن دائرة الإنشاء، إلّا أنّ للفعل

(نادى) ذاته دلالاتٍ، أفادت معاني عديدة حملها اللفظ؛ فقد ورد الفعل (نادى) ثلاث مرات في الآيات:(٣، ٢٤، ٥٢)، مشكّلاً بذلك نقطة الانطلاق الأولى لسرد القصّة، إذ بدأت ملامحها بالظهور في بداية السورة الكريمة؛ ففي قوله تعالى: ﴿ **إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا**﴾[مريم: ٣]، فتصدُّر السرد بالفعل (نادى) قد ساعد في نقل هذه الحالة الإنسانيّة من حالة الكمون والسكون إلى الحركة، التي تمثّلت فيما بعد بالنداءات والأدعية الواردة على لسان زكريا ﷺ حين نادى ربّه (نداءً خفيّاً) فنقل مشاعره وأحاسيسه من صورتها الشعوريّة غير المحسوسة إلى صورة لفظيّة، استطاعت أنْ تعبّر بدقة عن الإحساس بالضعف والعجز، بعد أنْ انقطعت عنه كلّ الأسباب المؤدّية إلى الإنجاب، نجد الفعل (نادى) المسند إلى الضمير الغائب، المتبوع بمصدره الصريح (نداءً) مؤكّداً لحدث(النداء)، قد أفاد في إضفاء حالة التذلّل والانكسار عند الدعاء وإظهارها، وقد زاد التأكيد بالوصف (خفيّاً) في إظهار المشاعر النفسيّة، التي كانت تعتلج في نفس زكريا ﷺ والتي أساسها النظرة الاجتماعيّة لمَن كان في حاله، ويشير المفسّرون إلى أنّ الإخفاء في الدعاء أدخل في الإخلاص وأبعد عن الرياء[٢٤]، وذكر الحسن: "نداء لارياء فيه، أو إخفاء؛ لئلّا يُلام على طلب الولد في إبّان الكَبرة والشيخوخة[٢٥].

وفي الموضع الآخر في قوله تعالى: ﴿**فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا**﴾[مريم: ٢٤] نجد الفعل (نادى) المسند إلى ضمير الغائب قد أشاع السكينة والطمأنينة في نفس مريم –عليها السلام– التي أصابها اليأس والضيق فتمنّت الموت، بل وأكثر من ذلك، فقد تمنّت لو تُمحى من ذاكرة قومها فلا يستذكرونها (نسياً منسيّاً)، والثاني: باستخدام جملة النداء "يامريم "، وفي كلّ مرّة جاء النداء بدلالة مختلفة عن الأخرى؛ فهو في المرّة الأولى؛ يحمل دلالة إيجابيّة من حيث انعكاسه على نفسيّة السيدة مريم –عليها السلام– عند ولادتها عيسى ﷺ، فمن هذا النداء انبعثت رسالة الله –جلّ وعلا– إلى مريم بالاطمئنان، وعدم الحزن.

وفي هذا السياق المليء بالمشاعر القاتمة، حمل الفعل (نادى) الفرج والأمل والبشرى بنهاية الحزن كما في الآيات اللاحقة: ﴿**فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا**﴾[مريم: ٢٤].

وفي الموضع الثالث وردت لفظة (نادى) في قوله تعالى: ﴿**وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا**﴾[مريم: ٥٢] في ثنايا الحديث عن نبيّ الله موسى ﷺ إذ استطاع الفعل (نادى) المسند إلى لفظ الجلالة المفخّم أنْ يكشف عن عِظم الحظوة والرعاية التي لقيها موسى من ربّه، بأنْ اتّخذه كليمه، ووهب له أخاه هارون نبيّاً وعضيداً.

وتجدر الإشارة –هنا– إلى أنّ النداء لم يأتِ إلاّ في الجزء الأول من السورة، وتفسير ذلك قد سبق ذكره في بيان وظائف النداء، التي أدّاها الأسلوب في السياقات الاجتماعيّة والنفسيّة للمنادى.

المبحث الثاني:

الأمـــر.

والأمرُ طلبٌ ينبني على إرادة تُلزم المخاطب بإيقاع الحدث، وهو طلبُ فعل على وجه الاستعلاء إلى الأدنى، حقيقةً أو ادّعاءً، وله صيغٌ أربع: فعل الأمر، والمضارع المقرون بلام الطلب، وهي التي تسمّى بلام الأمر، اسم فعل الأمر، المصدر النائب عن فعل الأمر[٢٦]. وقد عرّفه الخطيب القزوينيّ بقوله: "والأظهر أنّ صيغته مِن المقترنة باللام، نحو: ليحضر زيد، وغيرها، نحو: أكرم عمراً ورويداً بكراً، موضوعة لطلب الفعل استعلاء؛ لتبادر الذهن عند سماعها إلى ذلك، وتوقّف ما سواه على القرينة"[٢٧].

ويعدّ الأمر أقوى الأعمال الطلبيّة من حيث شدّة التوتّر بين المتكلّم والمخاطب، لذلك فإنّه لا يكون – كما ذهب سيبويه– إلّا بالفعل، وهي صيغة مكثّفة، تختزل الفاعل الحقيقيّ المتمثّل في المتكلّم، وتختزل الفاعل (الصناعيّ)، المأمور بإيقاع الحدث، فهي صيغةٌ مكثّفة تختزل إسنادين: إسناد الطلب إلى المتكلّم، وإسناد الحدث المطلوب إلى المخاطَب[٢٨]، يقول سيبويه:" إنّ الدعاء بمنزلة الأمر والنهي، وإنّما قِيل دعاء لأنّه؛ استعظم أنْ يقال أمرٌ ونهي"[٢٩].

ويمكننا أنْ نعدّ فعل الأمر –كونه محوريّاً في أسلوبه– الفعلَ الذي يتميّز بكونه غيرَ واجب من جهتين اثنتين: جهة اعتقاد الآمر، إذ يسعى بوساطة الفعل ذاته إلى تثبيته، والأخرى اعتقاد المخاطَب ذاته، وهو الذي سيحوّل الفعل المأمور به إلى أداء في الكون الخارجيّ[٣٠]، وسنتعرّف على هاتين الجهتين في السورة الكريمة والأخبار التي نقلتها عن الأنبياء والصالحين.

المطلب الأول: دلالة المصدر (ذكر).

لعلّ ما يلفت الانتباه في مادة (ذَكَرَ) هو أنّ الحديث عن زكريا ﷺ في بداية السورة جاء بصيغة المصدر، لا الأمر: ﴿**ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا**﴾[مريم: ٢] "وفي ذلك ما يدعونا إلى إعادة النظر في هذه الجملة انطلاقاً من دلالة المصدر المتجرّد من الزمن، فهو" اسمُ حدَث، حين يبرأ الحدث من الزمن"[٣١]. وقد أطلق عليها سيبويه أحداثاً، لاقتصارها على الحدث دون الزمن[٣٢]. فعلى الرّغم من أنّ أحد مدلوليْ الفعل يسمّى الحدث، فإنّه حدَثٌ ملابسٌ للزمن، وبذلك لا يستقلّ مفهومه عن الفعل ولا الزمن"[٣٣]، فإذا أسقطنا هذا المفهوم على الآية القرآنيّة التي نتحدّث عنها، فإنّنا نقول: إنّ التخلّص من الأفعال، والاكتفاء بسرد الخبر عن طريق المصدر، قد أكّد دلالة الشمول والامتداد لرحمة الربّ غير المحصورة أو المقيّدة بزمان أو مكان أو مخلوق؛ لذلك فإنّ الرحمة التي شملت زكريا ﷺ لن تقف عنده، بل تمتدّ لتشمل كلّ المخلوقات من البشر وغير البشر، فدلالة تركيب الجملة المبدوءة بالمصدر (ذِكْر رحمة ربّك) تحيلنا مباشرةً إلى هذا الفهم، الذي لن يتحقّق لو استبدل المصدر بالفعل (اذكر)، أو أنّ تحقيقه سيكون مشروطاً بزمن محّدد.

وإذا تساءلنا عن سبب انفراد قصّة زكريا عن غيرها بهذا المصدر، فإنّه يمكننا أنْ نعيد ذلك إلى سببين اثنين: أوّلهما: هو أنّها جاءت في بداية السورة، لذلك فإنّ التمكين لمفهوم الرحمة المطلق يبدأ مع المتلقّي منذ البداية ليتلقّى ما تبقّى من الأخبار في ظلّ هذه الرحمة التي استشعرها، ممّا يسعفه في استلهام المعنى المراد للآيات، ويمكّنه بعد ذلك من إسقاط هذا الشعور برحمة الخالق على نفسه أولاً، وعلى كل شخصيّة يصادفها في السورة. ثانياً: لاسيّما أنّ فكرة الرحمة الإلهيّة هي فكرة أساسيّة في السورة، يؤكّد ذلك تكرار لفظة الرحمة ومشتقاتها ثماني عشرة مرة، وانتشارها في مساحات مختلفة من السورة، فجاءت في أولّها، ووسطها وآخرها (انظر الآيات ذات الأرقام: (٢، ١٨، ٢١، ٢٦، ٤٤، ٤٥، ٥٠، ٥٣، ٥٨، ٦١، ٦٩، ٧٥، ٧٨، ٨٥، ٨٧، ٨٨، ٩١، ٩٦).

وهذا التكرار يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمحمولات الفكريّة التي أرادت السورة تأكيدها، فالرحمة التي شملت زكريا هي الرحمة التي شملت كلّ الأنبياء والصالحين، الذين ورد ذكرهم في السورة، بل إنّها طالت أيضاً العُصاة والكافرين، إذ يقترن الحديث عنهم والتوعّد لهم بلفظة (الرحمن)، التي تؤكّد رحمة الله بهم. (انظر الآيات: ٦٩، ٧٥، ٧٨، ٨٥، ٨٨، ٩١) يقابل ذلك قوله ﷻ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا**﴾[مريم: ٩٦]، حيث تكتمل المعادلة التي بدأت في أوّل السورة بـ ﴿**ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ...**﴾ فالرحمن الذي رحم زكريا ومريم وإبراهيم وإدريس –عليهم السلام – .... هو مَن يرحم العصاة، ويرحم أيضاً المؤمنين الصالحين.

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 16 [2020], Iss. 2, Art. 10

أمّا السبب الثاني فنرى أنّه يرتبط بطبيعة الموقف والخبر الذي أورده النصّ القرآنيّ، فما حدث لزكريا ﷺ ليس معجزة خاصّة بنبيّ، إنّما هو أمرٌ يمكن تحقيقه لأيّ إنسان، في كلّ زمان ومكان، إنْ أراد الله ذلك، فالسّياق يرتبط بالبعد الإنسانيّ لشخصيته أكثر من ارتباطه بنبوّته، لذلك كان المصدر أكثر ملاءمة لتحقيق الدلالة المطلوبة، حيث إنّ وجود الإنسان ممتدّ إلى أنْ يرث الله الأرض ومنْ عليها، وطلبُ الذريّة حاجة إنسانيّة مستمرّة باستمرار الحياة، كما أنّ صفة الإنسانيّة أكثر شمولاً من صفة النبوّة؛ لذلك تحتّم إطلاق الفكرة دون تقييدها بزمن.

أمّا بقية القصص الواردة فهي وإنْ أُريد منها العبرة والعظة، إلّا أنّها تخصّ شخصيات بعينها، فالخبر الذي روته الآيات عن الصّدّيقة مريم يدور حول كرامة اختصّها الله بها، فهي مقصورةٌ عليها، ومرتبطةٌ بنبوّة عيسى ﷺ، الذي شاءت الإرادة الإلهيّة أنْ يولَد بلا أبٍ، وهي إرادةٌ خاصّة لا تشمل بقيّة البشر.

وعلى الرغم من بروز الجانب الإنسانيّ وظهوره جليّاً في كلام إبراهيم ﷺ وحديثه الموجّه إلى أبيه، إلّا أنّ ذلك كلّه جاء في سياق مهمّته الخاصّة من حيث كونه نبيّاً مأموراً بالدعوة إلى الله، والنبوّة أمرٌ يختصّ الله به بعض عباده، ولا يشمل الخلق كلّهم. وهذا ينطبق على بقيّة الأنبياء الذين ورد ذكرهم في السورة، فنبوّة إسحق ويعقوب . عليهما السلام .، ونداء الله لموسى ﷺ، ونبوّة هارون ﷺ، وإسماعيل ﷺ الذي كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة، وإدريس ﷺ الذي رفعه الله مكاناً عليّاً، كلّ تلك الأخبار ارتبطت بصفة النبوّة التي اختصّهم الله بها من دون البشر، فكان من المناسب استخدام الفعل لا المصدر، مع ضمان دلالة الاستمراريّة فيه باختيار فعل الأمر (اذكر).

ولعلّ ما يؤكّد ما ذهبنا إليه أنّ الآيات القرآنيّة حين تحدّثت عن هؤلاء الأنبياء وصفتهم جميعاً بالنبوّة (انظر الآيات: ٤١، ٥١، ٤٩، ٥٤، ٥٦) لكنّها لم تصِفْ زكريا ﷺ بهذه الصفة، بل وُصِف ﷺ بالعبوديّة ﴿**ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا**﴾، وهي صفة غير مختصّة بالأنبياء وحدهم؛ لذلك كان إطلاق الحدث (ذِكْر الرحمة) أولى من تقييده بالدلالات الزمنيّة التي تحملها الأفعال. وبناءً على ما سبق فإنّ انفراد قصّة زكريا ﷺ عن غيرها بالمصدر (ذِكْر)، جاء منسجماً مع كلّ الدلالات التي حملتها السورة على اختلاف الأخبار والأحاديث الواردة، كما شكّل هذا التركيب (ذكر رحمة ربك) افتتاحيّة ذات أرضيّة متينة قامت عليها أفعال الأمر التي جاءت بعده (واذكر).

المطلب الثاني: دلالة الأمر الإنشائيّ.

إنّ الدارس المتمعّن لسورة مريم لَيلمسُ شيوع فعل الأمر فيها شيوعاً يشي بعلاقة وطيدة بينه وبين المضامين التي حملتها، وقد تصدّر الفعل (اذكر) أفعال الأمر الواردة في السورة، حيث شكّل حلقة وصل، ربطت القَصص والأخبار الواردة بعضها ببعض، فكان تصدّره _ لبداية كلّ خبر_ مقترناً بحرف العطف (الواو)، مؤكّداً وحدة الغاية المرجوّة من كلّ هذه الأخبار، وهي غاية ترتبط أوّلاً بالدلالة المعجميّة لهذا الفعل، إذ تشير المعاجم اللغويّة إلى معنى الذّكر، فهو: "الحِفْظُ للشيء لتَذْكُرُه، والذِّكْرُ أَيضاً الشيء: يجري على اللسان والذِّكْرُ جَرْيُ الشيء على لسانك"(٣٤).

لذلك يمكننا أنْ نرى في تكراره دعوةً من الله ﷻ إلى استمراريّة الذّكر لهذه الأخبار، التي لم تكن العِبرة منها مناطةً بالزمن الذي حدثت فيه، وإنّما تجاوزته إلى الأزمان القادمة، حيث ينهض فعل الأمر بهذه الدلالة الزمنيّة، ويكفل معنى الاستمراريّة فيها، لذلك تكرّر وروده خمس مرات، كان أولّها عند الحديث عن مريم. عليها السلام، فإبراهيم ﷺ، فموسى ﷺ، فإسماعيل ﷺ، فإدريس ﷺ: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ**﴾[مريم: ١٦]، ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ**﴾[مريم: ٤١]،

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol16/iss2/10

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى﴾[مريم:٥١] ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ﴾[مريم: ٥٤] ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾[مريم: ٥٦]". وإذا انتقلنا بالحديث إلى دلالات أفعال الأمر الأخرى في السورة، فإنّنا نجدها غير منفصلة عن هذا المعنى الذي رسّخته الآيات منذ مطلع السورة، ففي ظلّ الرحمة التي استشعرها زكريا ﷺ من ربّه نجده يتوجّه إليه بثلاثة من أفعال الأمر، التي خرجت عن معناها الحقيقيّ إلى الدعاء والتضرّع والرجاء. فكان أنْ طلب منه الهِبة ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ ومثل هذه الهِبة لا تُطلب إلا ممّن قدر على إيجاد أسبابها، ولا تُؤخذ إلّا تحت جناح الرحمة، التي رسّخت الآيات الكريمة مفهومها في ظل انسجام كبير ودقيق بين المعنى والمبنى؛ ولأنّ زكريا ﷺ يعلم قدرة ربّه، ويثق برحمته فقد تدرّج في الطلب بعد ذلك، ليكشف عن طمعه في المزيد من رحمة الله به، حين توجّه إليه بفعل أمر آخر (اجعل): ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[مريم: ٦]، وحين استجاب الله . –سبحانه– لطلبه طمع بأنْ يجعل له آية: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾".

إنّ هذه الأفعال الثلاثة (هب، اجعل، اجعل) حملت . إضافة إلى ما تحمله من دلالة على الطلب والرجاء ـ مؤشّراً يشي بالبعد النفسيّ لزكريا، فالسبب الذي دفعه إلى طلب الهِبة هو خوفه الذي كشفت عنه الآية: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾[مريم: ٥] "لذلك نجده يطلب الهبة، ويكشف في الوقت ذاته عن هذا الشعور، وكان هذا الكشف الذي صرّح به تعبيراً عن حيائه من الله، فهو يطلب أمراً خارقاً لما اعتاده البشر؛ فامرأته عاقر، وهو كبير السن، لكنّ استشعاره وعلمه اليقينيّ برحمة الله دفعاه إلى أنْ يرتقي بطلبه إلى أكثر من ذلك، فكان الرجاء بأنْ يجعل الله المولود رضيّاً. وحين استجاب الله ﷻ للطلب الأوّل ثم الثاني، وبشّره بيحيى، عاد الخوف إلى نفسه ثانية، فطلب من الله آيةً تبعث في نفسه الاستقرار والطمأنينة، فجاء جواب ربّه: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾[مريم: ١٠].

وتحمل أفعال الأمر الواردة في قصّة مريم دلالاتٍ مشابهةً على اختلاف الموقفين، فحين وصلت مريم –عليها السلام– إلى أقصى حالات القلق والحزن والخوف، جاءها النهي عن ذلك (ألاّ تحزني)، وهو نهي متبوع بعدد من البدائل هي: الأمر بهزّ الجذع (جذع النخلة)، ثم الأمر بالأكل والشرب، ثم الأمر بالاطمئنان وقرار العين. وكلّ تلك البدائل ترتبط بالحالة النفسيّة التي كانت عليها مريم –عليها السلام–، وتسعى إلى تهدئتها وطمأنتها، وقد جاء في التفسير:" وقيل: ما للنفساء خير من الرطب، ولا للمريض خير من العسل، وقيل: إذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب. عن طلحة ابن سليمان (جَنِيّاً) بكسر الجيم للإتباع، أي: جمعنا لك في السريّ والرطب فائدتين، إحداهما: الأكل والشرب، والثانية: سلوة الصدر؛ لكونهما معجزتين. وهو معنى قوله: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾[مريم: ٢٦] أي: وطيبي نفساً ولا تغتمي وارفضي عنك ما أحزنك وأهَمَّكِ[٣٥].

لقد ارتبطت دلالات الأمر في السورة الكريمة ارتباطاً وثيقاً بالسياق الذي وردت فيه، لذلك نجد أنّ البعد النفسيّ قد استحوذ على جزء كبير منها في قصّتيْ زكريا ومريم –عليهما السلام–؛ بسبب طغيان الجانب الإنسانيّ في كلّ منهما. في الوقت الذي نرى فيه أنّ الأمر في بعض المواضع الأخرى قد قُصد لذاته، كما في أمر الله –سبحانه– ليحيى ﷺ: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[مريم: ١٢] أي: "خذ التوراة بجد واستظهار بالتوفيق والتأييد ..."[٣٦]. وفي أمره –سبحانه– لمحمّد ﷺ بإنذار قومه من مشهد العذاب في الآخرة: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[مريم: ٣٩]، فحين يتعلّق الأمر بمهام الأنبياء –عليهم السلام – المناطة بهم يكون الأمر على وجه التكليف، وإنْ جاء الأمر في سياق مشاهد العذاب يوم القيامة، كما في ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ فإنّه يحمل معنى التخويف والتهديد للكافرين، بينما نجد الأمر يأخذ منحى الرجاء حين يخاطب النبيّ أباه، فعلى الرغم من قيام إبراهيم ﷺ بمهمّته

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 16 [2020], Iss. 2, Art. 10

التي كلّفه الله بها، وتبليغه للدعوة التي أنيطت به، إلّا أنّه لم ينسَ أنّه يخاطب أباه، فكان الأمر في سياق من التلطّف والرجاء: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾[مريم: ٤٣] قابل ذلك أمرٌ يحمل معنى التهديد القاسي بالهجر: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾[مريم: ٤٦] وفي ذلك مقابلة لطيفة بين أسلوب المؤمن القائم على الموعظة والكلمة الطيّبة، وأسلوب الكافر الفظّ الغليظ.

ويأتي فعل الأمر (كُن) في الآية الكريمة: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ -سبحانه- إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[مريم: ٣٥] دالّاً ومكثّفاً وجامعاً لكلّ ما يمكن أنْ يُستنتَج من إيراد القصص والأخبار المرويّة، فحكم الله وقضاؤه الذي لا يُردّ كان وراء ولادة يحيى، بعد انقطاع أسباب إنجابه من والديه، وكان أيضاً وراء حمل مريم وولادة عيسى -عليهما السلام-، ثم هو وراء كلّ أمر سواء أعُرِفَت أسبابه للبشر أم لم تُعرَف؟

نلحظ -فيما سبق- الخيط الرفيع الذي ينتظم المشهد بفعل الأمر (اذكر)، الذي تحدّثنا عنه في موضع سابق، فتكرار ذكر هذه الآيات سيحيل المتلقّي إلى هذه النتيجة الحتميّة ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، وهذا يقودنا إلى القول: إنّ هنالك انسجاماً عميقاً قائماً بين مفردات هذه السورة، يحتاج إلى دراسة مستقلة، وإليك الجدول التالي يحوي ملخّصاً لمواضع الأمر في السورة والغاية التي أفادها.

مواضع الأمر في السورة:

رقم الآية	الأمر الغاية من الأمر:
٥	هبْ الدعاء والتضرّع والرجاء.
٦	اجعل الدعاء والتضرّع والرجاء.
١٠	اجعل الدعاء والتضرّع والرجاء.
١١	أنْ سبّحوا الشكر.
١٢	خذ التكليف.
١٦	اذكر مريم العبرة والعظة.
٢٥	الطلب (هزّي تساقط) الطمأنينة والسكينة.
٢٦	فكلي واشربي وقرّي الطمأنينة والسكينة.
٣٥	كن (فيكون) إثبات القدرة.
٣٦	اعبدوه الأمر الحقيقيّ.
٣٩	أنذرهم التهديد والوعيد.
٤١	اذكر إبراهيم العبرة والعظة.
٤٣	(اتبعني أهدك) التلطّف والرجاء.
٥١	اذكر موسى العبرة والعظة.
٥٤	اذكر إسماعيل العبرة والعظة.
٥٦	اذكر إدريس العبرة والعظة.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol16/iss2/10

وممّا تجدر الإشارة إليه هو مجيء الأمر في القسم الأوّل من السورة، في حين خلا القسم الثاني منه، وقد أشير إلى سبب ذلك فيما سبق، إذ إنّ للأمرفي هذه السورة غايةً خاصّةً، ارتبطت في جلّها بالحالة النفسيّة للمخاطَبين.

المبحث الثالث:
الاستفهام.

هو طلبٌ، مجاله الإرادة، إذ يريد به المتكلّم من المخاطب أمراً لم يستقرّ عنده، فالمتكلّم في الاستفهام يصبح سائلاً يريد أمراً يطلبه من المخاطب، ولفظ السائل يقرنه سيبويه بلفظ الطالب في سياق حديثه عن معنى (ألا) الدالّة على أنّ المتكلّم متمنّ سائل شيئاً وطالبه[٣٧]، وهنالك فرقٌ واضحٌ بين الاستفهام والاستخبار، ومن ذلك ما ذكره الجرجانيّ، إذ يقول: "الاستفهام استخبارٌ، والاستخبار هو طلبٌ من المخاطب أن يخبرك"[٣٨]. ويرى ابن فارس أنّ بينهما فرقاً بسيطاً، يقول: "وذكر ناسٌ أنّ بين الاستخبار والاستفهام أدنى فرق، قالوا: وذلك أنّ أولى الحالين الاستخبار، لأنّك تستخبر فَتُجاب بشيء، فربما فهمته، وربما لم تفهمه، فإذا سألت ثانيةً فأنت مستفهم"[٣٩] وللتفتازانيّ في الاستفهام رأيٌ في غاية النباهة، يقول: "ثمّ إنّ هذه الكلمات الاستفهاميّة كثيراً ما تُستعمل في غير الاستفهام ممّا يناسب المقام بمعونة القرائن وتحقيق كيفيّة هذا المجاز، وبيان أنّه من أيّ نوع من أنواعه ممّا لم يَحُمْ أحدٌ حوله"[٤٠].

ورد الاستفهام في القرآن الكريم على شكلين: أولّهما: ما ورد على لسان ربّ العزّة، مؤدّياً معاني ودلالاتٍ بلاغيّةً يفرضها الموقف؛ إذ إنّ المعنى الحقيقي له يناقض حقيقة علم الله المطلق، وثانيهما ما ورد على لسان مخلوقات الله من إنس وطير وملائكة...، وهنا لا يوجد ما يمنع من إيراد المعنى الحقيقيّ للاستفهام، أو الانحراف عنه لمعانٍ بلاغيّة أرادها المتكلم، كالإنكار، والتوبيخ، والتقرير، والتعجب.

وفي سورة مريم جاء الاستفهام –بكلتا الصورتين– على لسان الله ﷻ في سياق ردّه على الكافرين في آخر السورة، وجاء أيضاً على لسان البشر: زكريا عليه السلام، ومريم –عليها السلام– وقومها، وإبراهيم عليه السلام وأبيه، ثمّ الكافرين المنكرين للبعث.

ولا شك في أنّ تنوّع المواقف، واختلاف طبيعة الاستفهام، وشخصيّة المستفهِم قد أوجدت تنوّعاً في الأدوات المستخدمة، حيث وردت في السورة ستّ من الأدوات، وقد جاء أسلوب الاستفهام –كغيره من الأساليب الإنشائيّة– مؤكّدا للمعاني التي رَمَت إليها السورة، وهي تدور –شأنها في ذلك شأن السور المكيّة عامّة– حول محور التوحيد، نافيةً فكرة الولد والشريك لله –جلّ وعلا–[٤١]، منكرةً على أولئك الذين كفروا وأنكروا قضيّة البعث القائمة أساساً على الإيمان بالله وقدرته، وتنزيهه عن كلّ ما سواه. غير أنّ هذه السورة تتميز بجوّها الخاصّ، الذي يظلّلها ويشيع فيها، جاعلاً منها معرضاً للانفعالات، والمشاعر القويّة في النفس البشريّة[٤٢].

من هنا، كان لابدّ لنا –ونحن نبحث في دلالات أسلوب الاستفهام– أنّ نمسك بالسياق والجوّ العام الذي وردت فيه الجمل الاستفهاميّة، وندرسها من خلاله، بغية الوصول إلى فهم يليق بما لمسناه من انسجام وتماسك نصيّ في السورة الكريمة، وبناءً على ذلك، فإنّنا سنتناول دلالات الاستفهام من خلال مطلبين اثنين، هما:

المطلب الأول: الجمل الاستفهاميّة الواردة في معرض الحديث عن الأنبياء والصالحين.

جاءت الجمل الاستفهاميّة مؤدّية الغرض منها في معرض سرد الأخبار التي أوردتها الآيات، فكانت البداية مع الاستفهام بـ(أنّى) في جملتين اثنتين، وموضعين مختلفين، أولهما: على لسان زكريا عليه السلام: ﴿**قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ**

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 16 [2020], Iss. 2, Art. 10

امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾[مريم: ٨].

والثاني: على لسان مريم: **﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾**[مريم: ٢٠].

وفي المرتين كشف استخدام هذا الاسم (أنّى) عن حالة من الاندهاش، أصابت كلاً من نبيّ الله زكريا، والصدّيقة مريم – عليهما السلام– بعد أنْ واجه كلٌّ منهما حدثاً خارقاً غير مألوف عند البشر، فزكريا الذي نادى ربّه نداءً خفيّاً، وتضرّع إليه طالباً الذريّة، على الرغم من معرفته بانعدام أسباب الإنجاب، نجده في موقفٍ آخرَ قد تملّكته الدهشة حين أُخبر باستجابة الله لدعائه، يبرز ذلك في هذه الجملة الاستفهاميّة:

أنّى +يكون+ لي غلام+ وكانت امرأتي عاقراً/ وقد بلغت من الكبر عتيّاً.

وبذلك تتحوّل الأسباب التي توسّل بها إلى الله، مُظهراً حالة العجز والضعف عند الدعاء: كِبر السن، وعقر الزوجة، إلى أسباب للتعجّب من هذا الحدث العظيم الذي أراده الله واستجاب به لطلب زكريا ﷺ، وهنا تكمن المفارقة التي تدفعنا إلى القول بأنّ الاستفهام قد نقل هذه الجمل: ﴿وكانت امرأتي عاقرا﴾ و﴿وقد بلغت من العمر عتياً﴾ من دلالتها الأولى التي فُهِمت من الموقف الأول عند الدعاء: **﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾**[مريم: ٤]، **﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾**[مريم: ٥] إلى دلالة جديدة تلائم الموقف الجديد، وترصد انفعال زكريا عند تلقّيه البشرى، وهو انفعال مصحوب بتعجّب، وسؤال عن الكيفيّة التي تمّ بها هذا الحدث الغريب، دون إنكار ذلك، فهو على علم وإيمان تامّ بقدرة الله المطلقة، وهذا ما تُجمع عليه كتب التفاسير، فالإنكار لمثل هذا الموقف لا يتلاءم وما نعلم من إيمان الأنبياء –عليهم السلام– ويقينهم بقدرة الله ﷻ، يقول الشعراويّ: "لمّا سمع زكريا ﷺ البشارة من ربّه، واطمأنّ إلى حصولها أغراه ذلك في أنْ يُوغل في معرفة الوسيلة، وكيف سيتم ذلك، وتتحقق هذه البشارة حالَ كوْنه قد بلغ من الكبر عتياً وامرأته عاقر؟ ... الواقع أنّ زكريا ﷺ لا يستنكر حدوث هذه البشرى، ولا يستدرك على الله، وحاشاه أنْ يقصد ذلك، وإنّما أطمعته البُشْرى في أنْ يعرف الكيفيّة، كما حدث في قصّة موسى ﷺ حينما كلّمه ربه واختاره، وأفرده بهذه الميزة فأغراه الكلام في أنْ يطلب الرؤيا، فقال: **﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾**[الأعراف: ١٤٣]، كما حدث في قصّة إبراهيم ﷺ لمّا قال لربه: **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾**[البقرة: ٢٦٠]"(٤٣).

وينطبق هذا القول على جملة الاستفهام التي جاءت على لسان مريم حين بُشّرت بهِبة الله لها "غلاماً زكيّاً"، فما كان منها إلّا أنْ أظهرت تعجّبها، نافيةً عن نفسها كلّ الوسائل التي يمكن أنْ تكون سبباً في حملها، سواء أكانت من الوسائل المشروعة أم غير المشروعة(٤٤).

(سورة مريم: الآية ٢٠):

أنّى+ يكون+ لي غلام +ولم يمسسني بشر/ ولم أكن بغيّا.

فهنا تعجّبٌ يحمل بين طيّاته السؤال عن الكيفيّة، دون الإنكار، كما هي حال زكريا سابقاً، لذلك كان سؤال مريم وسؤال زكريا . عليهما السلام . مشتركَيْن بالأداة نفسها (أنّى)، فقد عبّرت كلمة (أنّى) عن معنى التعجّب، مقترناً بالسؤال عن الكيفيّة، في الأمور مستحيلة التحقّق، التي لم يعهدها البشر ولم يألفوها، سواء فيما يتعلّق بولادة يحيى ﷺ لأبوين افتقرا لأسباب الإنجاب الطبيعية، أو ولادة عيسى بلا أبٍ؛ ذلك أنّ استخدام (أنّى) يسمح بتنوّع الدلالات:" وأنّى: سؤال عن الكيفيّة، وعن المكان، وعن الزمان(٤٥). لذلك فقد امتازت (أنّى) بخصوصيّة عن سائر أخواتها من أدوات الاستفهام؛ إذ

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol16/iss2/10

إنّ أغلب أدوات الاستفهام الواردة في السورة كان الاستفهام بها غير حقيقيّ(٤٦).

ولعلّ هذا ما سمح بوجود العديد من الروايات حول حالة التعجّب التي دلّ عليها سؤال زكريا عليه السلام " وقيل: اشتُبه عليه الأمر؛ أيُعطى الولد من امرأته العجوز أم من امرأة أخرى شابّة، فقال ما قال، وقيل: قال ذلك على سبيل الاستعظام لقدرة الله تعالى، والتعجّب الذي يحصل للإنسان عند ظهور آية عظيمة كمن يقول لغيره: كيف سمحت نفسك بإخراج ذلك المُلك النفيس من يدك؟! تعجّباً من جوده، وقيل: إنّ الملائكة لمّا بشّرته بيحيى عليه السلام لم يعلم أنّه يرزق الولد من جهة التبنّي؛ أومن صلبه فذكر ذلك الكلام ليزول هذا الاحتمال، وقيل: إنّ العبد إذا كان في غاية الاشتياق إلى شيء وطلبه من السيّد ووعده السيد بإعطائه، ربما تكلّم بما يستدعي إعادة الجواب؛ ليلتذّذ بالإعادة وتسكن نفسه بسماع تلك الإجابة مرّة أخرى، فيحتمل أنْ يكون كلام زكريا عليه السلامهذا من هذا الباب..."(٤٧)

كما كانت الإجابة من الله –سبحانه– متشابهة، وإنْ اختلفت في بعض تفاصيلها على حسب ما تمليه طبيعة الحدث، ففي الإجابة عن سؤال زكريا، قال تعالى: ﴿**قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا**﴾[مريم: ٩] وفي الإجابة عن سؤال مريم، قال تعالى: ﴿**قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا**﴾[مريم: ٢١]، فكلّ شيء سهل، هيّن على الله، فهو يخلق ما يشاء، وكيفما يشاء. وهنا يكمن المغزى من إيراد القصّتين، وهو إثبات قدرة الله المطلقة لبيان استحقاقه وحده للعبادة والألوهيّة، وهو ما عبّر عنه بشكل مباشر حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه.

وكما تعجّبت مريم –عليها السلام– من الطريقة التي حملت بها بعيسى، فقد تعجّب قومها، بل أنكروا عليها حين امتنعت عن الكلام، وأشارت إلى الصبيّ، كي يجيب عن أسئلتهم، فكان ردّهم: ﴿**قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا**﴾[مريم: ٢٩] وفي هذه الجمل الاستفهاميّة ما يحمل كثيراً من دلالات التعجّب والإنكار، بل الغضب والتهكّم عليها، وفق ما جاء في بعض الروايات:" ظانّين أنّها تزدري بهم وتلعب بهم، قال ميمون بن مهران: (فأشارت إليه) (كيف نكلّم مَنْ كان في المهد صبياً، قالت: كلّموه. فقالوا: على ما جاءت به من الداهية تأمرنا أنْ نكلّم منْ كان في المهد صبيّا، قال السدّيّ: لمّا أشارت إليه غضبوا، وقالوا: لَسخريتها بنا حين تأمرنا أنْ نكلّم هذا الصبي أشدّ علينا من زناها! قالوا: كيف نكلّم مَنْ كان في المهد صبيّاً، أي: منْ هو موجود في مهده في حال صباه وصغره، كيف يتكلم؟(٤٨).

نلحظ الاستخدام اللغويّ الدقيق لأداة الاستفهام (كيف) لتعبّر عن دلالة التعجّب والإنكار أو التهكّم، دون السؤال عن الكيفيّة التي تتمّ بها عمليّة التكلّم مع الصبيّ، فهي فعلٌ يمكن القيام به، وكيفيّته معروفة لديهم، لكنّهم تعجبّوا مِن أنْ يطلب إليهم أنْ يتكلّموا مع الصبيّ الوليد، في هذه السنّ. فكان المفهوم من سؤالهم، هو التعجّب والإنكار لحدوث هذا الأمر. فقد صوّر الاستفهام حالة الدهشة التي تملّكتها حين أخبرها رسول ربّها بأمر الله، فتعجّبت قائلةً: ﴿**قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا**﴾[مريم: ٢٠]، وهذا استفهام مكثّف وموحٍ، يتيح للمتلقي فرصةً كافيةً لتصوّر تلك الحالة من الدهشة التي تنتقل إلى نفسه ليتساءل هو أيضاً: كيف يكون ذلك، ولم يمسسها بشر، ولم تك بغيّاً؟!

ولكنّ هذه الدهشة لا تلبث أنْ تتلاشى، فتنقطع الأسئلة ويختفي الجدل خضوعاً لأمر الله حين تعلم مريم –عليها السلام– أنّ هذا ما قضاه ربّها عليها: ﴿**قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا**﴾[مريم: ٢١]، فما تلبث أنْ تستسلم لأمر ربّها: ﴿**فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا**﴾[مريم: ٢٢].

وبانتقالنا إلى حديث إبراهيم عليه السلام وحواره مع أبيه، وما اشتمل عليه من أدب الحوار، والبعد عن جفاء الأسلوب المتناقض

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 16 [2020], Iss. 2, Art. 10

مع مفهوم الرحمة الذي حملته دعوته وجميع الأنبياء –عليهم السلام –، نجد أسلوب الاستفهام (باستخدام ما الاستفهاميّة مسبوقة باللام) يتصدّر الحديث؛ لاستجلاب قلب الأب، وإعطائه مهلة للتفكير، فكيف يُعبَد من لا يسمع ولا يبصر، ولا يملك من أمره شيئا؟ لقد شكّل الاستفهام هنا افتتاحيةً مناسبةً لمشهد حواريّ، يدور حول فكرة الدعوة إلى الله، فكان لابدّ أولّاً من الكشف عن ماهيّة ما يُعبَد من دون الله: ﴿ لا يسمع، ولا يبصر﴾، وفي هذا إيجازٌ وتكثيفٌ لمُراد أبعد من ذلك، فالذي يفتقر للسمع والبصر، لابدّ أنّه يفتقر للقدرة على الإيجاد، فلو كان يمتلكها لمنحها لنفسه، وكيف للإنسان المخلوق أنْ يمتلك ذلك وخالقه لا يستطيع خلقها لنفسه؟

إنّ هذا الاستفهام من شأنه أنْ يحمل المخاطَب على التفكير في أمره، ليصل إلى القناعة التامّة بفكرة التوحيد، وعدم الشرك بالله، ولعلّ هذا سبب من أسباب تقديم الاستفهام على الأمر﴿فاتبعني أهدك صراطاً...﴾ والنهي ﴿يا أبتِ لا تعبد الشيطان﴾، كي تُبنى الدعوة على أساس من المنطق والفهم، وتقوم على الحكمة والموعظة والأدب في خطاب الآخرين، لاسيّما الأب.

وكما جِيء بالاستفهام ليحقّق ما أشرنا إليه قبلاً، فقد جِيء به أيضاً في نهاية الحوار ليكشف عن الموقف المقابل، موقف الأب المشرك الذي جاء سؤاله توبيخاً لابنه النبيّ، ثمّ جاء تهديده الواضح الصريح، قال: "أراغب أنت.." كاشفاً عن ضعف حجة المشرك الذي لا يملك إلّا التهديد والتوبيخ دون أدنى محاولة للحوار، أو الإتيان بما يدعم عقيدته من حجج وبراهين، ممّا يؤكّد بطلانها، ويؤيّد عقيدة الإيمان بالله، إلها واحداً لا شريك له.

وقبل أنْ يُسدل الستار على قصص السابقين الدالّة على قدرة الله ووحدانيّته، وانسجاماً مع المغزى المراد منها، يأتي السؤال بـ (هل) حاملاً معنى النفي ليؤكّد كلّ ما سبق ويلخّصه: ﴿**رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾[مريم: ٦٥] ففي هذا الاستفهام ما يقطع الشكّ، ويلخّص النتيجة بما يحمل من دلالة على النفي، نفي النظير والمثيل والشبيه والمماثل، ونفي كلّ ما يمكن أنْ تحمله كلمة (سميّ) من معانٍ، وتأكيد على الوحدانيّة والتفرّد بالألوهيّة، بما يؤكّد ما جاء به إبراهيم وكلّ الأنبياء –عليهم السلام–، الذين دعَوا جميعاً إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

مواضع الاستفهام بالهمزة، تكرّر (ست مرات)

الآية تركيب الاستفهام

٤٦ أ + راغب أنت عن

٦٦ أ+ إذا ما متّ

٧٧ أ+ رأيت الذي كفر

٧٨ أ + طّلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً

٨٣ أ + لم ترَ أنّا أرسلنا

٧٣ أيّ + الفريقين

المطلب الثاني: الجمل الاستفهاميّة الواردة في معرض الردّ على الكافرين المنكرين للبعث.

بعد انتهاء السورة الكريمة من رواية أخبار الأنبياء السابقين –عليهم السلام–، والصدّيقة مريم –عليها السلام–، يأتي الحديث عن الكافرين الذين كفروا برسالة سيدنا محمّد ﷺ، وأخذوا يشكّكون في أسسها، ويطعنون فيها، بل وينكرونها، وقد

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol16/iss2/10

جاءت الآيات في آخر السورة الكريمة، منكرةً عليهم هذا الكفر، ومبيّنةً ما ينتظرهم من عقاب أعدّه الله ﷻ لهم.

وفي هذا السياق تستوقفنا جملتان استفهاميّتان: الأولى: على لسان الكافرين: ﴿**وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا**﴾[مريم: ٦٦]، والثانية: على لسان الله –سبحانه–: ﴿**أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا**﴾[مريم: ٦٧]، إنكار بإنكار، وردٌّ واضحٌ بحجة دامغة، فإذا كان الكافر أو الإنسان على عمومه في كلّ زمانٍ ومكانٍ، ينكر قدرة الله على البعث، فإنّ الله جلّ جلاله ينكر على كلّ المنكرين إنكارهم هذا، مع تذكيرهم بالخلق الأول، فكيف ينكرون قدرة الله على البعث، وإحياء الموتى، وقد خلقهم قبل ذلك من العدم؟

ويرتبط هذا السياق ارتباطاً عميقاً مع ما رُوي من أخبار في بداية السورة، فقد تجلّت قدرة الله في قصّة زكريا ﷺ، كما تجلّت في خلق عيسى ﷺ بلا أبٍ، لذلك فهي تشكّل ردّاً واقعيّاً آخر على هؤلاء، وكأنّ الله –سبحانه– أراد أنْ يلفت النظر مرّة أخرى إلى تلك الأخبار بالإتيان بالفعل المضارع (يذكر)، وهو الفعل الذي استخدمه بصيغة الأمر عند حديثه عن مريم والأنبياء، الذين ورد ذكرهم بعدها، وجاء بالمصدر منه عند حديثه عن زكريا . عليهم السلام، كما أشرنا سابقاً، ولعلّ في ذلك ما يؤكّد ما نقول به من تماسك نصّيّ، وترابط كبير بين أجزاء السورة.

وفي معرض تناول الآيات لمظاهر الكفر وعقوبة الكافرين، يُطرَح مثال حيّ على ذلك في جملة استفهاميّة خوطب فيها رسول الله ﷺ: ﴿**أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا**﴾[مريم: ٧٧] حيث تشير الآية إلى أحد الكافرين، تذكره كتب التفاسير، وتبيّن الحادثة التي كانت سبباً في نزول الآيات، ذُكر أنّ هذه الآيات أُنزلت في العاص بن وائل السهميّ أبي عمرو بن العاص(٤٩).

وهنا يتجلّى الإنكار مرّة أخرى من الله ﷻ حين يتعجّب وينكر على هذا الكافر كفره، وإنكاره، وادّعاءه الغيب، بل السخرية منه أيضاً: ﴿**أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا**﴾[مريم: ٧٨].

ولا يقف دور الاستفهام عند هذا الحدّ، بل يتجاوزه إلى حمل المخاطب على الإقرار بعلاقة هؤلاء الكافرين المنكرين بالشياطين، الذين تولّوا مهمّة التحريض على الكفر في كلّ زمانٍ ومكان: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا**﴾[مريم: ٨٣]، وفي ذلك ما يسوّغ وقوعهم معاً في العذاب الشديد الذي توعّدهم الله –سبحانه– به في أواخر السورة، وصوّره في مشاهد مرعبة، تقشعرّ لها الأبدان. (انظر الآيات من ٦٨– ٩٥)، وغالباً ما يتضمّن هذا الاستفهام تقريراً بحدوث العلم أو الرؤية أو الخبر، وإنكاراً لعدم حدوث مقتضى هذا العلم أو هذه الرؤية(٥٠).

وفي آخر آية من السورة الكريمة يحملنا الاستفهام على النفي ليتحقّق المراد والغاية المرجوّة من كلّ ما سبق: ﴿**وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا**﴾[مريم: ٩٨]. فكلّ الحضارات والأمم السابقة التي أهلكها الله ﷻ، لم يبقَ منها ما يمكن أنْ يحسّه أو يعاينه أحد، بل لا يُسمع لهم صوت، ولعلّ في هذا المعنى ما يعيد الذاكرة إلى بداية السورة، لإقامة مقارنة ذهنيّة بين قصص وأخبار الصالحين، التي أراد الله لها أنْ تحيا ويستمرّ ذكرها، فكان: ﴿**ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا**﴾ وكان: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ**﴾، ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ**﴾، ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ**﴾...، وكأنّ في ذلك ما يومئ إلى خلاصة ما يفهم من السورة الكريمة، فالخير والصلاح باقيان، أمّا الحضارات القائمة على الكفر فهي فانية: "يقول: فهل تحسّ أنت منهم أحدًا يا محمّد فتراه وتعاينه؟ (أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا) يقول:" أو تسمع لهم صوتاً، بل بادوا وهلكوا، وخلت منهم دورهم، وأوحشت منهم منازلهم، وصاروا إلى دارلا ينفعهم فيها إلا صالح من عمل قدّموه، فكذلك قومك هؤلاء، صائرون إلى ما صار إليه أولئك، إنْ لم يعالجوا التوبة قبل الهلاك ..."(٥١).

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 16 [2020], Iss. 2, Art. 10

ويقول عبد القاهر بعد ذكره لجملة من المعاني البلاغيّة التي يفيدها الاستفهام: "واعلم أنّا وإنْ كنّا نفسر الاستفهام في مثل هذا بالإنكار، فإنّ الذي هو محض المعنى أنّه ليتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعي بالجواب؛ إمّا لأنّه قد ادّعى القدرة على فعل لا يقدر عليه، فإذا ثبت على دعواه قِيل له :فافعل، فيفضحه ذلك، وإمّا لأنّه هَمَّ بأنْ يفعل ما لا يستصوب فعله، فإذا رُوجع فيه تنبّه وعرف الخطأ، وإمّا لأنّه جوّز وجود أمر لا يوجد مثله، فإذا ثبت على تجويزه قبح على نفسه، وقِيل له: فأرناه في موضع وفي حال، وأقم شاهداً على أنّه كان في وقت ..."[٥٢].

المبحث الرابع:

النهـــي.

النهي طلب الكفّ عن فعل الشيء على وجه الاستعلاء، ينبني على إرادة تلزم المخاطب بإيقاع الحدث أو تركه[٥٣]، وهو أقوى الأعمال الطلبيّة من حيث شدّة التوتّر بين المتكلم والمخاطب؛ لذلك فإنّه لا يكون إلّا بالفعل، وهي صيغةٌ مكثّفة تختزل الفاعل الحقيقيّ المتمثّل في المتكلّم، وتختزل الفاعل (الصناعيّ) المأمور بإيقاع الحدث، فهي صيغةٌ مكثّفةٌ تختزل إسنادين: إسناد الطلب إلى المتكلّم، وإسناد الحدث المطلوب إلى المخاطب[٥٤]، ويمكننا أنْ نقرن هذا الفعل بوصفه محوريّاً في عمليْ الأمر والنهي ببعض الملاحظات: أوّلاً: أنّه الفعل الذي يتميّز بكونه غير واجب. ثانياً: أنّه غير واجب من جهتين اثنتين: جهة اعتقاد الآمر أو الناهي، إذ يسعيا بواسطة الفعل ذاته إلى تثبيته. وجهة اعتقاد المخاطب ذاته، وهو الذي سيحوّل الفعل المأمور به إلى أداء في الكون الخارجيّ" [٥٥].

ورد أسلوب النهي في ثلاثة مواطن متفرقة هي: ﴿**فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا**﴾[مريم: ٢٤]، ﴿**يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا**﴾[مريم: ٤٤]، ﴿**فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا**﴾[مريم: ٨٤]، ومن الطبيعيّ أنْ تختلف دلالة هذا الأسلوب باختلاف السياق الذي تنوّع بتنوّع القصص الواردة في السورة الكريمة.

جاء النهي في الموطن الأول (أنْ+لا الناهية) موجّهاً إلى السيدة مريم –عليها السلام–: ﴿**أَلَّا تَحْزَنِي**﴾، وهنا كشفٌ واضحٌ للحالة النفسيّة (حالة الحزن) التي وصلت إليها مريم –عليها السلام–، وهي حالةٌ لم تُصرّح بها الآيات الكريمة من قبل، ولم تعلنها فجأة بل تدرّجت في عمليّة السرد شيئاً فشيئاً حتى وصلت إلى الحديث عن هذه الحالة التي اقترنت بالنهي عنها باستخدام حرف النهي (لا).

وإذا نظرنا نظرة تحليليّةً متأنّية، وسلّطنا الضوء على ما جاء في قصّة مريم –عليها السلام– فإنّنا نجد أنّ الآيات الكريمة قد ركّزت على إبراز ردود الفعل الصادرة عن مريم –عليها السلام–، ولا يخفى ما للأساليب الإنشائيّة (الاستفهام، والنداء، والأمر، والنهي) مجتمعةً من دورٍ واضحٍ في نقل كلّ ذلك بإيجاز ووضوح؛ وهنا يأتي النهي: ﴿**أَلَّا تَحْزَنِي**﴾، نهيٌ يحمل بين طيّاته قدْراً من الحنان الذي يتطلّبه الموقف؛ لاستجلاب التهدئة والطمأنينة للنفس الحزينة، التي عانت من الأزمات النفسيّة بدءاً بالاندهاش، وانتهاءً بالحزن المؤدّي إلى تمنّي الموت، فَمِن الاستفهام إلى التمنّي إلى النهي، كان التدرّج في رصد الحالة النفسيّة لمريم، وجلاء ما يمكن أنْ يتبادر إلى الذهن في حادثة، تثير فضول المتلقّي وتبعث في نفسه كثيراً من التساؤلات.

وفي الموطن الثاني لأسلوب النهي نجد نبيّ الله إبراهيم ينهى أباه عن عبادة الشيطان، مبيّناً أنّ الشيطان كان عاصياً لربه. وهنا نقف عند لطيفة من لطائف الأسلوب القرآنيّ فيما يخصّ استخدام الأساليب الإنشائيّة، ففي هذ الموقف العظيم

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol16/iss2/10

الذي تكلّل بدعوة مباشرة إلى عبادة الله والنهي عن عبادة الشيطان، وفي خضمّ هذا الجدل القائم بين مشرك يرفض عبادة الله رفضاً تامّاً، ونبيّ ينهى عن طاعة الشيطان، وعبادة الأصنام، وعلى اختلاف الموقفين، وتباعد ما بينهما، نجد أنّ نبيّ الله لم ينسَ وهو يؤدّي رسالته أنّ خصمه هو أولى الناس ببرّه، لذلك كان أسلوب الدعوة يجمع بين الوضوح والحزم في تأدية الرسالة، وأدب الخطاب المشتمل على الرحمة واللين.

ويتّضح ذلك جليّاً حين نستخلص الهدف الأساس من المشهد الحواريّ برمته، والذي تمثّل في قول إبراهيم عليه السلام: ﴿**يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا**﴾[مريم: ٤٤]، فهذا النهي بحرف النهي (لا) هو محور الحوار، والذي دار حوله المشهد كله، لكنّ هذا المشهد لم يبدأ به مباشرة، بل إنّه سُبق باستفهام ثم أمر، ولعلّ ذلك يُفَسّر ما أشرنا إليه سابقاً من أدب في الخطاب، تحتّمه علاقة المتحاورين، حين يصدر النهي من الابن لأبيه، فلابدّ من التوسّل بوسائل أخرى تهيّء لذلك. وبناءً على ذلك استُهِلّ الحوار بالاستفهام الذي يبدو أكثر قدرةً على الوصول إلى النّفس، ثمّ إقناع العقل؛ وذلك لما فيه من اللين، والاحترام للطرف الآخر، حين يُسمح له أنْ يتفكّر وينظر في الأمر.[٥٦] ﴿**إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا**﴾[مريم: ٤٢]. وهذه المساحة المتاحة للتفكّر والتأمّل، هي الأمل المرجوّ في تقبّل ماهو آتٍ.

ولكنْ حين تخفقُ مخاطبة العقل عن طريق الاستفهام في تحقيق المراد منها، ينتقل الحوار من الاستفهام إلى الأمر الذي توسّل أيضاً بالنداء، المقترن بالتذكير، بالعلاقة بين المتحاورين (يا أبتِ)، وما يستجلبه ذلك من استلطاف واستفزاز لمشاعر الأبوّة، إضافةً إلى محاولة أخرى للإقناع، وإبراز لصفة النبوّة التي جعلت الابن يملك من العلم مالم يملك أبوه ﴿**يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا**﴾[مريم: ٤٣]، وبعد أنْ فشلت المحاولات السابقة جاء النهي صريحاً واضحاً، ﴿**يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا**﴾[مريم: ٤٤]، ولابدّ أنّ هذا الترتيب الربانيّ للأساليب الإنشائيّة في هذا المشهد لم يأتِ عبثاً، وهو أمرٌ مرتبط بأدب الخطاب، ذلك أنّ الاستفهام يبدو أخفّ وطأةً على النفس من الأمر، والأمر أخفّ من النهي، وإذا كانت بلاغة المتكلّم تتطلّب مراعاة مقتضى الحال، فإنّ لغة هذا الحوار قد مثّلت البلاغة في أسمى معانيها، حين راعت حال المتكلم وأدبه في الحديث مع أبيه، مع حرصه على إيصال الرسالة.

ولا تبتعد دلالة النهي في قوله تعالى: ﴿**فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا**﴾[مريم: ٨٤]، عن دلالته في سياق الحديث عن مريم ﴿**أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا**﴾[مريم: ٢٤]، فما حقّقه النهي في ذلك الموطن من تهدئة وطمأنة لنفس مريم –عليها السلام–، هو ذاته ما حقّقه في هذه الآية حين أُرِيدَ بالنهي طمأنة قلب رسول الله ﷺ بعد سرد قصص السابقين، فلا يتعجّل في طلب عذاب الكافرين:" فلا تعجل على هؤلاء الكافرين بطلب العذاب لهم والهلاك، يا محمّد إنّما نعدّ لهم عدّا، يقول:" فإنّما نؤخّر إهلاكهم ليزدادوا إثماً، ونحن نعدّ أعمالهم كلّها ونحصيها حتى أنفاسهم لنجازيهم على جميعها، ولم نترك تعجيل هلاكهم لخيرٍ أردناه بهم"[٥٧].

سُبق النهي في هذا الموضع أيضاً بأسلوب الاستفهام في قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا**﴾[مريم: ٨٣] وفي ذلك تذكيرٌ للنبي ﷺ بحال الشياطين، وارتباطهم بأهل الكفر في كلّ زمان، تحرّكهم بالإغواء والإضلال، فتزعجهم إلى معاصي الله، وتغريهم بها حتى يواقعوها. وفي ذلك كله تثبيت لمحمّد ﷺ ووتسلية لنفسه، كي يستمر في الدعوة رغم ما يواجه من تعنت وإنكار.

يمكن لنا أنْ نلحظ أيضاً أنّ أسلوب النهي في المواضع الثلاثة التي ذكرناها لم يأتِ منفرداً؛ بل جاء مسبوقاً بأساليب إنشائيّة أخرى، ففي سياق الحديث عن مريم –عليها السلام– سُبق النهي باستفهام، ثم تمنٍّ، وفي المشهد الحواريّ بين إبراهيم عليه السلام وأبيه سُبق باستفهام، ثم نداء (مرتين)، ثم أمر، وفي المرّة الأخيرة حين خاطبت الآيات سيدنا محمّد ﷺ جاء النهي مسبوقاً باستفهام.

وفي ذلك كلّه ما يؤكّد انسجام النصّ وترابط أجزائه ترابطاً، يشي بوحدة الغاية المرجوّ تحقيقها من السورة، وهي توحيد الله، وعدم الشرك به أيّاً كان الزمان أو المكان، ودحض كلّ ما يمكن أنْ يناقض هذه الفكرة، سواء على مستوى المضمون أم الشكل. ولعلّ في ذلك أيضاً ما يلفت النظر إلى قيمة تربويّة وتعليميّة وبلاغيّة عظيمة، انطوت عليها هذه السورة الكريمة، وهي التلطّف في القول، والبعد عن الأساليب التي تنفر منها النفس الإنسانيّة، وهذا يتّسق ويتواءم تماماً مع طبيعة الدعوة الإسلاميّة القائمة على الحكمة والموعظة الحسنة، فالنهي أسلوبٌ فيه من الغلظة ما فيه، وقد لا تحتمله نفس الإنسان إنْ لم يتم توجيهه الوجهة اللغويّة الملائمة للسياق الذي ورد فيه، لذلك كان الحديث عن حالة مريم النفسيّة والدهشة التي أصابتها موضّحاً بأسلوب الاستفهام ﴿**قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا**﴾[مريم: ٢٠]، والتمنّي ﴿**فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا**﴾[مريم: ٢٣]، ثم جاء بعد ذلك أسلوب النهي ﴿**أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا**﴾[مريم: ٢٤]، وذلك بعد أنْ أدرك المتلقّي، واستقرّ في نفسه أنّ هذا النهي لم يأتِ إلّا ليكون لمسةً حانيةً تطمئن مريم، وتطرد عن نفسها الحزن والخوف، اللذين دفعاها إلى تمنّي الموت. وكان ما ذُكر سابقاً عن أدب حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه واضحاً في تبيان هذه الرسالة التعليميّة والتربويّة، وفي الموضع الثالث كان نهي الله لنبيّه –عليه الصلاة والسلام– مسبوقاً باستفهام يمهّد له، فيكون بذلك قد حقّق الغاية المرجوّة منه في استجلاب نفس الرسول ﷺ، ثم تحقيق ما أُريدَ من النهي بطمأنة الرسول ﷺ ليستمرّ في الدعوة إلى ربّه بالحكمة واللين والرفق.

المبحث الخامس:

التمنّي.

التمنّي: هو طلب حصول الشيء المحبوب، الذي لا يرجى حصوله[٥٨]، أمّا المحبوب الذي يُرجى حصوله فهو الترجّي وهوليس من أقسام الإنشاء الطلبيّ، لأنّ الترجّي ترقّب حصول الشيء، أمّا التمنّي فهو طلب الشيء، والأداة الموضوعة له هي (ليت)، وقد يُتمنّى بـ(لو)، وهذا يزيد من المتمنّى بُعداً واستحالة؛ إذ هي حرف امتناع لامتناع.

لم يأتِ هذا الأسلوب في هذه السورة سوى مرّة واحدة على لسان السيّدة مريم . عليها السلام–: ﴿**فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا**﴾[مريم: ٢٣]، عند اقتراب ولادتها بابنها المسيح عليه السلام بلا أبٍ، فعلى الرغم من تسليمها لأمر الله وخضوعها له، إلّا أنّ الطبيعة البشريّة أمام هذا الحدث الغريب العظيم، تأبى إلّا أنْ تفرض أقصى درجات الضعف الإنسانيّ حين يكون الموت أمنيّةً للفرار من هذا الأمر، فجاء التمنّي بـ (ليت) مسبوقاً بحرف التنبيه (يا) ليبرز هذا الضعف، وينبئ عن حالة من الحزن الشديد بعد أنْ ألجأها المخاض إلى جذع النخلة: ﴿**فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا**﴾.

لقد كان للأساليب الإنشائية –سابقة الذكر–مجتمعة دور واضح في الكشف عما يعتلج النفس الإنسانيّة من مشاعر وأحاسيس، والإفصاح عما لقيه أنبياء الله وصدّيقوه من معاناة وابتلاءات كانت دروساً للبشر في كل زمان ومكان.

وتجدر الإشارة إلى أن السورة الكريمة قد احتوت إضافة إلى ماذكرنا سابقاً على عدد من الأساليب الإنشائية الأخرى، التي لم يكن لها علاقة مباشرة في عناصر السورة، ومن ذلك أسلوب الرجاء، الذي جاء مرّة واحدة على لسان نبيّ الله زكريا: ﴿وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾[مريم: ٤٨]، وكذلك أسلوب الدعاء الذي ورد مرّة واحدة في سياق الحديث عن الكافرين: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[مريم: ٣٧]، وأخيراً جاء أسلوب التعجّب القياسيّ على وزن (أفعل بِ)، حيث ورد مرّة واحدة في سياق الحديث عن الكافرين: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[مريم: ٣٨].

الخاتمة.

توصّلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- الجمل الإنشائيّة غالباً ما تأتي لمخاطبة العاطفة والانفعال؛ لذلك فهي تكثر في المواقف التي تقتضي التحريض أو التحضيض.
- اهتمام البلاغيّين بدراسة الإنشاء الطلبيّ؛ لأنّ أساليبه –وهي الأمر والنهي والاستفهام والتمنّي والنداء– غنيّة بالاعتبارات والملاحظات البلاغيّة.
- للجملة الندائيّة أهميّةٌ في العمليّة التواصليّة التبليغيّة، وتكمن تلك الأهميّة في كونها البنية الخطابيّة الأكثر دوراناً على الألسنة والأقلام؛ وتؤدّي أغراضاً بلاغيّة عديدة، تتحدّد من سياقاتها ومن العلاقة الناشئة بين المنادِي والمنادَى مباشرةً في التركيب اللغويّ والتصويت به
- يعدّ الأمر أقوى الأساليب الطلبيّة من حيث شدّة التوتّر بين المتكلّم والمخاطب؛ إذ ارتبطت دلالاته في السورة الكريمة ارتباطاً وثيقاً بالسياق الذي وردت فيه، والصياغة الإنشائيّة نفسها قد تأتي في سياقين مختلفين، فيُلمح منها معاني مختلفة عنها في سياق آخر.
- تناوب الأساليب الإنشائيّة وتدرّجها في الموقف ذاته؛ فحين تفشل مخاطبة العقل عن طريق الاستفهام في تحقيق المراد منها، ينتقل الحوار إلى الأمر الذي توسّل أيضاً بالنداء.
- إنّ الترتيب الربانيّ للأساليب الإنشائيّة هو أمرٌ مرتبط بأدب الخطاب، ذلك أنّ الاستفهام يبدو أخفّ وطأةً على النفس من الأمر، والأمر أخفّ من النهي.
- شكّلت الأساليب الإنشائيّة مجتمعةً دوراً واضحاً في الكشف عمّا كان يعتلج النفس البشريّة من شعور، وقد أفصحت تلك الأساليب عمّا لقيه أنبياء الله وصدّيقوه من معاناة وابتلاءات.
- جاء دور الأساليب الإنشائية في السورة الكريمة مكملاً ومعززاً لدور الأساليب الخبرية في تأكيد قدرة الله ﷻ، وانفراده بالألوهيّة، وهذا يدل على التّماسك والتّرابط العضويّ بين أجزاء السورة، ويؤكد تآلف البنى اللغويّة فيها.

الهوامش.

(١) ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار العربيّة للطباع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (ط٤)، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م، المجلّد الخامس، ج١٦، ص٢٤. وينظر: محمد علي الصابونيّ، **صفوة التفاسير**، إشراف مكتبة البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 16 [2020], Iss. 2, Art. 10

والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، جزء ٢، ص١٩٢.

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية**، تحقيق: محمد السيّد الجليند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤ م، ط٢، مجلد ٣، ص٣٣٨.

(٣) ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد الدالي، **أدب الكاتب**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص٧.

(٤) ينظر: الاستراباذيّ (رضي الدين)، **شرح الرضي على الكافية**، تحقيق: يوسف حسن عمر، ١٩٧٨م، منشورات جامعة قاريونس، ج٦، ص١١. وينظر: عبد القاهر الجرجانيّ، **دلائل الإعجاز**، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجيّ، مصر، القاهرة، ١٤٠٩هـ، ص٣١٥.

(٥) عبدالسلام هارون، **الأساليب الإنشائيّة في النحو العربيّ**، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، (ط٥)، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص١٣.

(٦) أبو العباس محمد المبرّد (ت ٢٨٦هـ)، **المقتضب**، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، بيروت، عالم الكتب، ج٣، ص٨٩. وينظر: أحمد محمد نحلة، **علم المعاني**، دار العلوم العربيّة، بيروت، لبنان، ١٩٩٠، ص٨١. وينظر: الخطيب القزوينيّ (٧٣٩هـ)، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، لبنان، (ط٣)، ج١، ص٥٥ و٥٦. وينظر: عبد العزيز عتيق، **علم المعاني**، دار النهضة العربيّة، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٧٤ و٧٥.

(٧) أحمد بن علي السبكيّ (ت ٧٧٣هـ)، **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**، تحقيق: عبد الحميد هنداويّ، (ط١)، المكتبة العصريّة للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ج١، ص٤١٩-٤٢٠.

(٨) جمال الدين أبي محمّد بن هشام الأنصاريّ، (ت ٧٦١هـ)، **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، (ط١)، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٢١.

(٩) القزوينيّ، الخطيب، (ت ٧٣٩هـ)، **الإيضاح في علوم البلاغة**، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، (ط٣)، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج١، ص٥٩ وما بعدها. وينظر: بدريّة العتيبيّ، **الأساليب الإنشائيّة في شعر لبيد بن ربيعة (مواقعها ودلالاتها)**، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كليّة اللغة العربيّة وآدابها، ١٤٣٠هـ، ص١٠٧

(١٠) سيبويه، **الكتاب**، تحقيق: وشرح عبد السلام هارون، مطبعة الخانجيّ، القاهرة، (ط٣)، ١٩٨٨، ج١، ص١٣٧وج١، ص٢٨٢.

(١١) المخزوميّ، مهدي، **في النحو العربيّ نقد وتوجيه**، **مطبعة دار الرائد العربيّ**، بيروت، لبنان، (ط٢)، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص١٦٣.

(١٢) عبد المتعال الصعيديّ، **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**، مكتبة الآداب، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ج٢، ص٣٨. وينظر: بسيوني عبد الفتاح فيّود، **علم المعاني**، دراسة بلاغيّة ونقديّة لمسائل المعاني، مؤسسة المختار، ط٢، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ، ص٣١٧-٣١٨.

(١٣) المحنا، علي نورس، والجنابيّ، سيروان عبد الزهرة، **أثر بناء الجملة الإنشائيّة في توجيه المعنى في سورة مريم**، مجلة اللغة العربيّة وآدابها، كلية الآداب، جامعة الكوفة، العدد ١٤، نوفمبر، ٢٠١٢م، ص٤.

(١٤) سيبويه، **الكتاب**، ج١، ص٢٣.

(١٥) الحسن بن قاسم المراديّ، **الجنى الداني في حروف المعاني**، تحقيق: طه محسن، دار الكتب للطباعة والنشر، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، ص٣٤٩. وينظر: ابن هشام، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ص٤٨٨. **الكتاب**، ج١، ص١٣٧.

(١٦) سيبويه، **الكتاب**، ج٢، ص٢٠٨.

(١٧) ينظر: الخطيب القزوينيّ (٧٣٩هـ)، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، لبنان، (ط٣)، ج٣، ص٩١ وما بعدها. وينظر: عبد العزيز عتيق، **علم المعاني**، دار النهضة العربيّة، بيروت، لبنان،

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol16/iss2/10

١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٧٤ و٧٥. وينظر: مبارك تريكيّ، **النداء بين النحويّين والبلاغيّين**، مجلة حوليّات التراث، مستغانم (الجزائر) عدد ٧، ٢٠٠٧م، ص١٣٧و١٤٢.

(١٨) ينظر: أحمد محمد فارس، **النداء في اللغة والقرآن**، دار الفكر العربيّ، بيروت، لبنان، ١٩٨٩م، ص١٦١ وما بعدها.

(١٩) ينظر: سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، المجلد الخامس، ج١٦، ص٢٧.

(٢٠) الإمام فخر الدين محمّد بن عمر بن الحسين الشافعيّ الرازيّ (ت ٦٠٣هـ)، **التفسير الكبير أو (مفاتيح الغيب)**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (ط١)، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج ٢١، ص١٨١.

(٢١) ينظر: سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، المجلد الخامس، ج١٦، ص٢٧.

(٢٢) أبو جعفر محمد بن جرير الطبريّ (ت ٣١٠هـ)، **تفسير الطبريّ(المسمّى جامع البيان في تاويل القرآن)**، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ج١٦، ص٧٧.

(٢٣) محمد علي الصابونيّ، **مختصر تفسير ابن كثير**، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، (ط٧)، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م، ج٢، ص٤٥٠.

(٢٤) ينظر: ناصر الدين أبي سعيد الشيرازيّ البيضاويّ (ت ٦٨٥هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبدالرحمن مرعشليّ ومحمد محيي الدين الأصفر، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، ج٢، ص١٤. وينظر: محمد علي الصابونيّ، **صفوة التفاسير**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ج٢، ص١٩٤.

(٢٥) القرطبيّ، **تفسير القرطبيّ**، ج١١، ص٧٤. وينظر: سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، المجلد الخامس، ج١٦، ص٢٨.

(٢٦) يوسف بن أبي بكر السكاكيّ (ت ٦٢٦هـ)، **مفتاح العلوم**، ضبطه وعلّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، (ط٢)، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م، ص٣١٨. وينظر: عبد السلام هارون، المرجع السابق، ص١٥.

(٢٧) القزوينيّ، **الإيضاح**، ص١٤٧. وينظر: محمد محمد أبو موسى، **البلاغة القرآنيّة في تفسير الزمخشريّ وأثرها في الدراسات البلاغيّة**، الناشر: مكتبة وهبة، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٣٠٧.

(٢٨) خالد ميلاد، **الإنشاء في العربيّة بين التركيب والدلالة**، جامعة منوبة، المؤسسة العربيّة للتوزيع، تونس، (ط١)، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص١٨٥. وينظر: مختار عطيّة، **علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندريّة، ص٢٢٥ و٢٤٠.

(٢٩) سيبويه، **الكتاب**، تحقيق، ج١، ص١٤٢.

(٣٠) خالد ميلاد، **الإنشاء في العربيّة بين التركيب والدلالة**، ص١٩٢.

(٣١) عباس، حسن، **النحو الوافي**، دار المعارف، مصر، (ط٤)، ج٣، ص١٨١.

(٣٢) سيبويه، **الكتاب**، ج٣، ص١٢.

(٣٣) تمّام حسّان، **البيان في روائع القرآن(دراسة لغويّة وأسلوبيّة للنصّ القرآنيّ)**، القاهرة، عالم الكتب، (ط٣)، ج١، ص٥٥.

(٣٤) جمال الدّين محمّد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ)، **لسان العرب**، بيروت – لبنان، دار صادر، (ط١)، مادة (ذكر) ج٤، ص٣٠٨ وما بعد.

(٣٥) أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشريّ (٤٦٧هـ-٥٣٨هـ) **الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل**، تحقيق: عبد الرّزاق المهديّ، بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربيّ، (١٤٢١هـ-٢٠٠١م)، (ط٢)، ج٣، ص١٥.

(٣٦) الزّمخشريّ، **الكشّاف**، ج٣، ص٩.

(٣٧) ينظر: سيبويه، **الكتاب** ج١، ص٢٨٦.

(٣٨) الجرجانيّ، **دلائل الإعجاز**، ص١٤٠.

(٣٩) ابن فارس، **الصاحبيّ**، تحقيق: عمر فاروق الطبّاع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، (ط١)، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص١٨٦.

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 16 [2020], Iss. 2, Art. 10

وينظر: بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشيّ، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (ط٣)، ١٥٩/٢. وينظر: فضل حسن عباس، **البلاغة (فنونها وأفنانها)**، دار الفرقان، عمان، الأردن، (ط٥)، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص١٥٤ و١٥٥.

(٤٠) التفتازانيّ، سعد الدين مسعود بن عمر، المتوفى سنة (٧٩٢هـ)، **المطوّل في شرح تلخيص مفتاح العلوم**، تحقيق: عبد الحميد هنداويّ، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط١)، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٤١٩. وينظر: محمد أبو موسى، **دلالات التراكيب**، ص٢٠٣-٢٠٤. وبسيوني عبد الفتاح فيود، **علم المعاني**، ص٣٠٥.

(٤١) ينظر: سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، مجلد ٥، ج١٦، ص٢٤.

(٤٢) ينظر: سيّد قطب، **في ظلال القرآن**. مجلد ٥، ج١٦، ص٢٦. وينظر: عبد العليم السيد فودة، **أساليب الاستفهام في القرآن**، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعيّة، نشر الرسائل الجامعية، ص٥٢٧.

(٤٣) محمد متولّي الشعراويّ، **تفسير الشعراوي** مطابع أخبار اليوم، القاهرة، مصر، ١٩٩٧م، ج١٥، ص٥٧.

(٤٤) الشعراويّ، **تفسير الشعراوي**، ج١٥، ص٨٣.

(٤٥) أبو حيّان محمد بن يوسف الأندلسيّ، (ت ٧٤٥ هـ) **تفسير البحر المحيط**، دراسة وتحقيق: وتعليق عادل عبد الموجود وعلي معوّض، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ج٢، ص٤٦٧. وينظر: الزمخشريّ، **الكشّاف**، ج٣، ص٧.

(٤٦) المحنا، علي نورس، والجنابيّ، سيروان عبد الزهرة، **أثر بناء الجملة الإنشائيّة في توجيه المعنى في سورة مريم**، مجلة اللغة العربيّة وآدابها، ، كلية الآداب، جامعة الكوفة، العدد ١٤، نوفمبر ٢٠١٢، ص٥٣.

(٤٧) شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسينيّ الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطيّة، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، (ط١)، ١٤١٥هـ، ج٢، ص١٥٩.

(٤٨) الحافظ عماد الدين أبو الفداء القرشيّ (ابن كثير) (ت ٧٧٤هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م، ج٣، ص١١٨.

(٤٩) الطبريّ، **تفسير الطبريّ** ج١٦، ص ٩٣ وما بعد،

وقد أورد ابن هشام في سيرته اصل القصة: يثول: "قال ابن إسحاق: و"العاص بن وائل السهميّ" كان خباب بن الأرت صاحب رسول الله ﷺ قَيْناً بمكة، يصنع السيوف، وكان قد باع من العاص بن وائل سيوفاً، عملها له، حتى إذا كان له عليه مالٌ، فجاء يتقاضاه، فقال له: يا خبّاب، أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذي أنت على دينه أنّ في الجنّة ما ابتغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم؟ قال خبّاب: بلى، قال: فينظرني إلى يوم القيامة يا خباب حتى أرجع إلى تلك الدار فأقضيك هنالك حقّك، فو الله لا تكون أنت وأصحابك آثر عند الله منّي، ولا أعظم حظّاص في ذلك" ابن هشام، ، محمد عبدالملك المعافريّ، **السيرة النبويّة**، تحقيق: وتعليق ودراسة عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معرض، مكتبة العبيكان، الرياض، (ط١)، ١٤١٨هـ/١٩٩٨ م، ج١، ص٣٧٢.

(٥٠) الخطيب القزويني، (٧٣٩هـ)، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ج٣، ص١٤٤.

(٥١) الطبريّ، **تفسير الطبريّ** ج١٦، ص٩٦.

(٥٢) عبد القاهر الجرجانيّ، **دلائل الإعجاز**، قرأه وعلّق عليه: محمود شاكر، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، (ط٢)، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ص١١٩-١٢٠.

(٥٣) السكاكيّ، **مفتاح العلوم** ٣١٨ و٣١٩. وينظر: قيس إسماعيل الأوسيّ، **أساليب الطلب عند النحويّين والبلاغيّين**، بغداد ١٩٨٨م، ص٩٣، و١٠٣). وينظر: فضل حسن عباس، **البلاغة: فنونها وأفنانها**، دار الفرقان، الأردن، (ط٢)، ١٤٠٩هـ/

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol16/iss2/10

١٩٨٩م، ص١٥٤–١٥٥. وينظر: عبد العزيز عتيق، : **علم المعاني**، دار النهضة العربيّة، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص٩١ وما بعدها.

(٥٤) خالد ميلاد، **الإنشاء في العربيّة بين التركيب والدلالة (دراسة نحويّة تداوليّة)**، جامعة منوبة، المؤسسة العربيّة للتوزيع، تونس، (ط١)، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص١٨٥.

(٥٥) يحيى بن علي العلويّ، **الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، تحقيق: محمد عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، (ط١)، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص٥٣٢. وينظر: خالد ميلاد، **الإنشاء في العربيّة بين التركيب والدلالة**، ص١٨٨.

(٥٦) أبو حيّان الأندلسيّ، **تفسير البحر المحيط**، ١٨٣/٦. وينظر: الزمخشريّ، **الكشّاف**، ٢٢/٣. والصابونيّ، **صفوة التفاسير** ٢٠٤/٢

(٥٧) الطبريّ، **تفسير الطبريّ**، ١١٨/١٦.

(٥٨) ينظر: العلويّ، **الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز** ٥٣٤ و٥٣٥. والسيوطيّ، **الاتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، (ط١)، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج٢، ١٥٩ و١٦٠. والقزوينيّ، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ج٢، ص٩١.